مَعُوْنَةُ الـمُحَامِي
عَمَّا حَوَتْ
عَقِيْدَةُ العَوَامِّ

شَرْحٌ مُوْجَزٌ لِـنَظْمِ عَقِيْدَةِ العَوَامِّ
للشَّيخِ أَحْمَدَ المَرْزُوقِيّ

جمع وإعداد الشيخ الدكتور
بلال بن إسماعيل الحلاق

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥ر

باسمِ الإلـهِ ذِي الجَـلَالِ وَالكَـرَمْ أَفْتَتِـحُ المَقَـالَ رَاجِـيَ النِعَـمْ

وَالحَمْـدُ لِلـهِ عـلى مَـا وَفَّقَـا ثُـمَّ الصَـلَاةُ وَالسَّـلَامُ مُرْفَقَـا

عـلى النَـبِيِّ الـمُصْطَفَى قُدْوَتِنَـا شَـمْسِ الهُـدَى المُنِـيْرِ فِي ظُلْمَتِنَـا

وَبَعْـدُ هَـذا مَـا يَقُوْلُـهُ بِـلَالْ يَرْجُـوْ بِـهِ مِـنْ رَبِّـهِ حُسْـنَ الـمَآلْ

فِي حَـلِّ نَظْـمِ السَّـيْدِ الـمَوْثُوقِ العَـالِمِ المَعْـرُوفِ بِالـمَرْزُوْقِي

تَارِيْخُـهُ (أَضْمَرْتُـهُ)[1] للحَاسِـبِ سَـهْلُ الـمَنَالِ صُغْتُـهُ لِلرَاغِـبِ

سَـمَيْتُهُ (مَعُوْنَـةَ الـمُحَامِي عَـمَّا حَـوَتْ عَقِيْـدَةُ العَـوَامِ)

ولـمَّا كانَ عِلْمُ التوحيدِ[2] أَجَلَّ العُلُومِ وأرْفَعَها وأوْلاَها[3]، وكانَ مِنْ أنْفَعِ

---

(١) كما هو المعروف من صنيع المصنفين من ضبط التواريخ بحساب الجُمّل، الألف واحد، والضاد ثمانمائة، والميم أربعون، والراء مائتان، والتاء أربعمائة، والهاء خمسة فيكون المجموع ألفًا وأربعمائة وستة وأربعين (١٤٤٦هـ) وهو تاريخ سنة جمع هذا الشرح النافع بإذن الله تعالى على متن عقيدة العوام.

(٢) علم التوحيد هو أساس قواعد عقائد الإسلام، وغايته الفوز بالسعادات الدِينيَّة والدُنيويّة، وبراهينه الحُججُ القطعية والأدلة السمعية، ويسمى هذا العلمُ علمَ التوحيدِ وعلمَ أصولِ الدينِ ويُسمى أيضًا علم الكلام. ويشمل هذا العلم معرفة الله بوصفه بالصفات التي تليق به وتنزيهِهِ عما لا يليقُ به، ومعرفة رسوله والتصديق بكل ما جاء به، والإيمان بيوم القيامة وما يتبع ذلك من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها.

(٣) كما يدل على ذلك قوله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» فإن الله قدم ما يتعلق بالأصول وهو التوحيد على ما يتعلق بالفروع وهو الاستغفار، وكذلك في الآية قدم الله العلم على العمل، فدل ذلك على أن الإيمان أفضل من سائر العبادات، وعلى وجوب التعلم قبل الشروع في العمل ليكون مقبولًا موافقًا للشرع، ومن هنا بوّب البخاري في صحيحه فقال «بابٌ العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله». وفي الحديث الصحيح أن النبي قال لمعاذ بن جبل: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ** =

الوَسائِلِ لِتَرْسِيخِ ضَرُورِياتِ العَقِيدَةِ الإِسْلامِيَّةِ الحَقَّةِ الأَرَاجِيْزُ الوَجِيْزَةُ التِي يَسْهُلُ حِفْظُها على الكَبِيرِ والصَغِير، عَنِيَ الكَثيرُ مِنْ عُلماءِ الـمُسلمينَ بتآلِيفَ تُبَيّنُ ما يَلْزَمُ ثُبُوت القَلْبِ عليه مِنَ الاعتقاد، ومن أشهَرِها وأخصَرِها مَنْظُومَةُ عَقِيدَةِ العَوامِ للشيخِ أحمدَ الـمَرْزُوْقِي المصريّ دَفينِ مَكَةَ المكرمة رحمه الله.

وَهِيَ عَقِيدَةٌ قَدْ شَاعَ ذِكْرُهَا فِي الْبِلَادِ، وَعَمَّ نَفْعُهَا لِلْعِبَاد، قَلِيلَةُ الْأَلْفَاظِ، كَثِيرَةُ الْمَعَانِي، سَهْلَةُ المَنَالِ حِفْظًا وَفَهْمًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ عَلَيْهَا تَعْلِيقَاتٍ لَطِيفَةً مُخْتَصَرَةً، وَتَنْبِيهَاتٍ مُفِيدَةً مُبَسَّطَةً، تَشْرَحُ أَلْفَاظَهَا، وَتُوَضِّحُ مُرَادَهَا، عَلَى طَرِيقَةِ السَّادَةِ الأَشْعَرِيَّةِ، مِنْ غَيْرِ اخْتِصَارٍ مُخِلٍ وَلَا إِطْنَابٍ مُمِلٍّ. وَسَمَّيْتُه (**مَعُونَةَ الْمُحَامِي عَمَّا حَوَتْ عَقِيدَةُ الْعَوَامّ**) لِمَا فِيهَا مِنْ الْأَدِلَّةِ الدَّامِغَةِ الْوَاضِحَةِ فِي نُصْرَةِ الحَقِّ وَدَحْضِ الْبَاطِلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

وَاَللَّهَ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ عَمَلًا مَقْبُولًا خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْعِبَادَ، لِيَكُونَ ذُخْرًا لِي يَوْمَ الْمَعَادِ، وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

اللَّهُمَّ يَا غَفَّارَ الذُّنُوبِ، وَيَا سَتَّارَ الْعُيُوبِ، اغْفِرْ وَارْحَمْ مَنْ أَعَانَ عَلَى نَشْرِ هذَا الشَّرْحِ، وَمَنْ اشْتَغَلَ بِتَعَلُّمِهِ وَتَدْرِيسِهِ.

وَكَتَبَ حَامِدًا رَبَّهُ مُصَلِّيًا عَلَى مُحَمَّدٍ وَءالِهِ

الشَّيْخُ بِلَالُ بن إِسْمَاعِيلَ الحلاق

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ.

= أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ» الحديث رواه البخاري.

ترجمةُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ الله

اسمُهُ ونَسَبُهُ:

هُوَ الشيخُ السيّدُ الشريفُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ السَّيّدِ رمضانَ بنِ مَنْصُورٍ ابنِ السيّدِ مُحمَدِ شَمْسِ الدينِ بنِ السَّيّدِ رَئِيسِ بنِ السَّيّدِ زَينِ الدِّيْنِ بنِ نَاصِبِ الدِّينِ بنِ ناصِرِ الدِّيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ رَئِيْسِ إِبْرَاهِيمَ ابنِ محَمَّدِ بنِ السَّيّدِ مَرْزُوْقٍ الكَفَافِيّ ابنِ السَّيّدِ مُوْسَى بنِ عَبدِ اللهِ المَحْضِ ابنِ الإمامِ حَسَنٍ المُثَنَّى بنِ الإمامِ الحَسَنِ بنِ الإمامِ عليّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ وَأَرضَاهُ، فهوَ مَنْسُوبٌ للحَسَنِ بنِ عَليّ رضيَ اللهُ عنهُما مِنْ جِهَةِ وَالِدِهِ، ويُنسَبُ للحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ رَضيَ اللهُ عنهُما مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ، وَهوَ مَالكيُّ المَذْهَبِ بَل كانَ مُفْتِيَ المالِكِيَّةِ بِمَكة المكرمَةِ في زَمانِهِ رحمه الله تعالى.

كُنْيَتُهُ ولَقَبُهُ:

يُكْنَى الشَّيخُ أَحْمَدُ المَرْزُوقِيُّ بِأَبي الفَوْزِ، كَنّاهُ بِه الشيخُ أَبُو الإقْبَالِ مُحَمَّدُ وَفَا. وأما لَقَبُهُ بِالمَرْزُوْقِيّ فَهوَ نِسْبَة إِلى جَدِّهِ العارِفِ باللهِ مَرْزُوْقٍ الكَفَافِيّ دَفينِ كفافة بلدة على شاطىء البحر الأحمر.

مَوْلِدُهُ وَسِيْرَتُهُ:

وُلِدَ الشيخُ أحمدُ المرزُوقِيُّ في بلدة سِنْبَاط في مصرَ سَنَةَ ألفٍ ومائتَينِ وخمسةٍ للهِجْرَةِ المباركة، وقَرَأَ القِراءاتِ العَشْرَ على كبارِ قُراءِ ذلك الوَقْتِ ثم رَحَلَ إِلى مَكَّةَ المكرمَةِ فَعُيّنَ مُفْتِيًا للمَالِكيَّةِ بها بعد وفاةِ أخيه السَّيّدِ محمد سَنَةَ ١٦٢١هـ .

نَشِطَ المَرْزُوقِيُّ فِي تَدْرِيْسِ تِلاوَةِ القُرءانِ الكريمِ وَالتفسيرِ والعلومِ الشرعيَّةِ في المسجدِ الحَرَامِ عِندَ مَقامِ المالكيَّةِ، وَهيَ مَقصُورَةٌ بالجِهَةِ الغَرْبِيّةِ مِنَ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ يُجْلَسُ فيها للإفْتَاءِ على مَذْهَبِ الإمامِ مَالِكٍ دَاخِلَ الحرَمِ المكيّ، وأُزيلَ هذا في أيامنا، وكان يُقْرِئُ فيها كُتُبَ التَّفسيرِ وغيرَها إلى أنْ مَاتَ رحمه الله تعالى.

شُيُوْخُهُ:

كانَ لَهُ شُيُوخٌ كَثِيْرُونَ فِي مِصْرَ أيامَ نَشْأَتِهِ، وَلَهُ مَشَايخُ فِي مَكَّة المكرمةِ وَمِنْ أَشْهَرِهِم:

- الشَّـيْخُ الْقَـارِئُ إِبْرَاهِيـمُ بْـنُ بَـدْوِيّ العُبَيْـدِيّ، شَـيْخُ قُـرَّاءِ مِصْـرَ فِـي زَمَانِـهِ، وَكَانَ الشَّـيْخُ أَحْمَـدُ الْمَرْزُوقِـيُّ قَـدْ تَلَقَّـى عَلَيْـهِ الْقِـرَاءَاتِ وَالتِّـلَاوَة.

- الشَّـيْخُ أَبُـو الْأَنْـوَار شَـمْسُ الدِّيـنِ مُحَمَّـدُ بْـنُ عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ الْوَفَائِـيُّ الْمَغْرِبِيُّ الْأَصْـلِ، الْمِصْـرِيُّ الـدَّارِ، الْمَالِكِيُّ الْمَذْهَـبِ، شَـيْخُ السَّـادَةِ الْوَفَائِيَّـةِ بِمِصْـرَ فِي وَقْتِـهِ، الْمُتَوَفَّى سَـنَةَ ١٢٢٨هـ

تَلَامِذَتُهُ:

كَانَ لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ الْمَرْزُوقِيّ كَثِيرٌ مِنْ التَّلَامِذَةِ بَرَعُوا فِي الْعِلْمِ، وَانْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ، وَدَرَّسُوا فِي فُنُونٍ شَتَّى، مِنْهَا: عُلِمُ الْقِرَاءَاتِ وَالنَّحْوِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالسِّيرَة، وَمِنْ أَشْهَرِهِم:

- الشَّـيْخُ الْقَـارِئُ أَحْمَـدُ بْـنُ مُحَمَّـدِ بْـنِ الطَّاهِـرِ الْمَرَّاكِشِـيُّ دَفِيـنُ الْمَدِينَـةِ الْمُنَـوَّرَةِ الْمُتَوَفَّـى سَـنَةَ ١٢٨٧هـ.

- الشَّـيْخُ أَحْمَـدُ بْـنُ عَلِيّ بْـنِ مُحَمَّـدٍ الحُلْوَانِيُ الْكَبِيرُ الشَّـافِعِيُ الرِّفَاعِيُ الْأَشْـعَرِيُ الْمُتَوَفَّـى سَـنَةَ ١٣٠٧هـ، شَـيْخُ قُـرَّاءِ بِـلَادِ الشَّـامِ وَعَلَيْـهِ مَـدَارُ إِسْـنَاد أَهْلِهَـا.

- الشَّـيْخُ الْقَـارِئُ الْمُتْقِـنُ أَحْمَـدُ بْـنُ خَالِـدٍ دُهْمَـانَ الشَّـافِعِيُّ الدِّمَشْـقِيُّ دَفِيـنُ دِمَشْـقَ الْمُتَوَفَّى سَـنَةَ ١٣٤٥هـ

- الشَّـيْخُ أَحْمَـدُ زَيْنِـي بْـنُ أَحْمَـدَ دَحْـلَانَ الْحُسْـنَيُّ الْأَشْـعَرِيُّ، إِمَـامُ الْحَرَمَيْـنِ وَمُفْتِـي الشَّـافِعِيَّةِ وَفَقِيهُهُـمْ فِـي عَصْـرِهِ أَوَاخِـر عَهْـدِ الدَّوْلَـةِ الْعُثْمَانِيَّـةِ. شُـهِرَ رَحِمَـهُ اللَّـهُ بِفَضْحِـهِ لِلْوَهَابِيَّـةِ فِـي كِتَـابِ «فِتْنَـةِ الْوَهَّابِيَّـة» وَكِتَـاب «الـدُّرَر السَّـنِيَّةِ فِـي الـرَّدِ عَلَـى الْوَهَّابِيَّـة» تُوُفِّـيَ رَحِمَـهُ اللَّـهُ تَعَالَـى سُـنَّةَ ١٣٠٤هـ فِـي الْمَدِينَـةِ الْمُنَـوَّرَةِ وَدُفِـنَ فِيهَـا.

مُؤَلَّفَاتُهُ:

تَرَكَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْمَرْزُوقِيُّ مُصَنَّفَاتٍ نَافِعَةً فِي عُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَقَدْ عُرِفَ مِنْهَا:

- **عَقِيدَةُ الْعَوَامِ**: وَهِيَ أُرْجُوزَةٌ نَافِعَةٌ فِي عِلْمِ الْعَقِيدَةِ تَتَأَلَّفُ مِنْ سَبْعَةٍ وَخَمْسِينَ بَيْتًا، وَهِيَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ، وَنَالَت قَبُولًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعُمِلَ لَهَا شُرُوحَاتٌ مُفِيدَةٌ مُطَوَّلَةٌ وَمُخْتَصَرَةٌ.

- **تَحْصِيلُ نَيْلِ الْمَرَامِ بِشَرْحِ عَقِيدَةِ الْعَوَامِ**: وَهُوَ شَرْحٌ عَمِلَهُ الشَّيْخُ الْمَرْزُوقِيُّ عَلَى مَنْظُومَتِهِ عَقِيدَةِ الْعَوَام.

- **بُلُوغُ الْمَرَامِ لِبَيَانِ مَوْلِدَ سَيِّدِ الْأَنَامِ**: وَهُوَ شَرْحٌ عَلَى قِصَّةِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمٍ الْمَالِكِيِّ الشَّهِيرِ بِالْحَرِيرِيِّ، طُبِعَ بِمَطْبَعَةِ بُولَاق الْأَمِيرِيَّةِ بِمِصْرَ سَنَةَ ١٢٨٦ و١٢٩١هـ.

- **بَيَانُ الْأَصْلِ فِي لَفْظَةِ بَافَضْل**: وَهِيَ رِسَالَةٌ أَلَّفَهَا لِبَيَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بِلَفْظَةِ بَافَضْل.

- **تَسْهِيلُ الْأَذْهَانِ عَلَى مَتْنِ تَقْوِيمِ اللِّسَانِ**: وَهُوَ شَرْحٌ عَلَى مَتْنِ تَقْوِيمِ اللِّسَانِ فِي النَّحْوِ لِلْخَوَارِزْمِيِّ الْبَقَّالِيِّ.

- **الْفَوَائِدُ الْمَرْزُوقِيَّةُ فِي شَرْحِ الْآجُرُّومِيَّةِ**: وَهُوَ شَرْحٌ وَضَعَهُ عَلَى مَتْنِ الْآجُرُومِيَّةِ فِي النَّحْوِ لِإِمَامِ ابْنِ ءاجُرُّوم.

- **مَنْظُومَةٌ فِي عِلْمِ الْفَلَكِ**: شَرَحَهُا أَخُوهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ مُفْتِي الْمَالِكِيَّةِ بِمَكَّةَ قَبْلَ تَعْيِينِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ.

- **مَنْظُومَةٌ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ**: وَقَدْ ذَكَرَت بَعْضُ الْمَصَادِرِ أَنَّهَا طُبِعَتْ وَفَرَغَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ مِنْ نَظْمِهَا سَنَة ١٢٥٨هـ.

وَفَاتُهُ:

اخْتَلَفَتِ الْمَصَادِرُ فِي تَارِيخِ وَفَاةِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْمَرْزُوقِيِّ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ حَيًّا فِي سَنَةِ ١٢٨١هـ، وَذَهَبَ صَاحِبُ مُخْتَصَرِ نَشْرِ النُّورِ وَالزَّهْرِ عَلَى أَنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ الْمَرْزُوقِيَّ تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ ١٢٦٢هـ وَأَنَّهُ دُفِنَ بِمَكَّة بِمَقْبَرَةِ الْمُعَلَّاةِ رَحَمَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوانُهُ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

١ أَبْـدَأُ بِاسْمِ اللهِ وَالـرَّحْمنِ وَبِالـرَّحِـيمِ دَائِـمِ الإِحْـسَانِ
٢ فالـحَـمْـدُ للهِ الـقَدِيْمِ الأَوَّلِ الآخِـرِ الـبَـاقِـيْ بِلا تَـحَـوُّلِ
٣ ثُمَّ الـصَّلاةُ والسَّلامُ سَرْمَدَا عَـلَـى الـنَّبِيِّ خَيْرِ مَنْ قَدْ وَحَّدَا
٤ وَءالِهِ وَصَـحْبِهِ وَمَـنْ تَبِعْ سَـبِـيـلَ دِيْنِ الحَقِّ غَيْرَ مُبْتَدِعْ
٥ وَبَعْدُ فَاعْلَمْ بِوُجُوبِ الـمَعْرِفَهْ مِنْ وَاجِبٍ للهِ عِشْـرِيْنَ صِفَهْ
٦ فَـاللهُ مُـوْجـودٌ قَـدِيـمٌ بَاقِيْ مُخَـالِـفٌ لِلْـخَـلْقِ بِالإِطْلاقِ
٧ وَقَـائِمٌ غَـنِـيٌ وَوَاحِـدٌ وَحَيْ قَـادِرٌ مُـرِيْـدٌ عَـالِمٌ بِكُلِّ شَيْ
٨ سَـمِـيْـعٌ الـبَـصِـيْرُ والـمُتَكَلِّـمُ لَـهُ صِـفَـاتٌ سَـبْـعَـةٌ تَنْتَظِمُ
٩ فَـقُـدْرَةٌ إِرادَةٌ سَـمْـعٌ بَـصَـرْ حَيَـاةٌ الـعِـلْـمُ كَـلامٌ اسْتَمَرْ
١٠ وَجَـائِـزٌ بِـفَـضْـلِهِ وَعَدْلِهِ تَـرْكٌ لِـكُـلِّ مُـمْـكِـنٍ كَفِعْلِهِ
١١ أَرْسَـلَ أَنْبِيَا ذَوِيْ فَـطَـانَـهْ بِالـصِّـدْقِ والـتَـبْلِيغِ والأَمَانَه
١٢ وَجَـائِـزٌ فِي حَقِّهِمْ مِنْ عَرَضِ بِغَـيْـرِ نَـقْـصٍ كَخَفِيفِ الْـمَرَضِ
١٣ عِـصْـمَـتُهُمْ كَسَائِرِ المَلائِكَهْ وَاجِـبَـةٌ وَفَـاضَلُوا الـمَـلائِكَهْ
١٤ وَالـمُسْتَحِيلُ ضِدُّ كُلِّ وَاجِبِ فَاحْفَظْ لِخَمْسِينَ بِحُكْمٍ وَاجِبِ
١٥ تَفْصِيْلُ خَمْسَةٍ وَعِشْـرِيْنَ لَزِمْ كُلَّ مُكَلَّفٍ فَحَقِّقْ وَاغْتَنِمْ
١٦ هُمْ ءَادَمٌ إِدْرِيْسُ نُوْحٌ هُوْدُ مَعْ صَـالِـحْ وَإِبْـرَاهِـيـمُ كُلٌّ مُتَّبَعْ
١٧ لُوْطٌ وَإِسْـمَاعِيْلُ إِسْحَاقٌ كَذَا يَـعْـقُوْبُ يُوسُفٌ وَأَيُوْبُ احْتَذَى

١٨ شُعَيْبُ هَارُوْنُ وَمُوْسَى وَاليَسَعْ ذُوْ الْكِفْلِ دَاوُدُ سُلَيْمانُ اتَّبَعْ

١٩ إِلْيَاسُ يُوْنُسْ زَكَرِيَّا يَحْيَى عِيْسَى وَطَهَ خَاتِمٌ دَعْ غَيَّا

٢٠ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ وَءالِهِمْ مَا دَامَتِ الأَيَّامُ

٢١ وَالمَلَكُ الذِيْ بِلا أَبٍ وَأُمْ لا أَكْلَ لا شُرْبَ ولا نَوْمَ لَهُمْ

٢٢ تَفْصِيلُ عَشْرٍ مِنْهُمُ جِبْرِيلُ مِيْكَالُ إِسْرَافِيْلُ عَزْرَائِيلُ

٢٣ مُنْكَرْ نَكِيْرٌ وَرَقِيبٌ وَكَذَا عَتِيْدُ مَالِكٌ وَرِضْوانُ احْتَذَى

٢٤ أَرْبَعَةٌ مِنْ كُتُبٍ تَفْصِيْلُهَا تَوْرَاةُ مُوْسَى بِالهُدَى تَنْزِيْلُها

٢٥ زَبُوْرُ دَاودَ وَإِنْجِيلٌ عَلَى عِيسَى وَفُرْقَانٌ علَى خَيْرِ الْمَلَا

٢٦ وَصُحُفُ الخَلِيْلِ وَالكَلِيْمِ فِيهَا كلامُ الحَكَمِ العَلِيْمِ

٢٧ وَكُلُّ مَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ والْقَبُولُ

٢٨ إِيْمَانُنا بِيَومِ ءاخِرٍ وَجَبْ وَكُلِّ مَا كَانَ بِهِ مِنَ العَجَبْ

٢٩ خَاتِمَةٌ فِي ذِكْرِ بَاقِي الوَاجِبِ مِمَّا عَلَى مُكَلَّفٍ مِنْ وَاجِبِ

٣٠ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ قَدْ أُرْسِلَا لِلعَالَمِيْنَ رَحْمَةً وَفُضِّلَا

٣١ أَبُوْهُ عَبْدُ اللهِ عَبْدُ المُطَّلِبْ وَهَاشِمٌ عَبْدُ مَنَافٍ يَنْتَسِبْ

٣٢ وَأُمُّهُ ءَامِنَةُ الزُّهْرِيَّهْ مُرْضِعَتُهْ حَلِيْمَةُ السَّعْدِيَّهْ

٣٣ مَوْلِدُهُ بِمَكَةَ الأَمِيْنَهْ وَفَاتُهُ بِطَيْبَةَ المَدِيْنَهْ

٣٤ أَتَمَّ قَبْلَ الوَحْيِ أَرْبَعِيْنَا وَعُمْرُهُ قَدْ جاوَزَ السِّتِّيْنَا

٣٥ وَسَبْعَةٌ أَوْلَادُهُ فَمِنْهُمُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الذُّكُورِ تُفْهَمُ

٣٦ قَاسِمْ وَعَبْدُ اللهِ وَهُوَ الطَّيِبُ وَطَاهِرٌ بِذَيْنِ ذَا يُلَقَّبُ

٣٧ أَتَاهُ إِبْرَاهِيْمُ مِنْ سُرِّيَّهْ فَأُمُّهُ مَارِيَّةُ القِبْطِيَّهْ

٣٨ وَغَيْرُ إِبْرَاهِيْمَ مِنْ خَدِيجَهْ هُمْ سِتَّةٌ فَخُذْ بِهِمْ وَلِيْجَهْ

٣٩ وَأَرْبَعٌ مِنَ الإِنَاثِ تُذْكَرُ رِضْوَانُ رَبِّيْ لِلْجَمِيْعِ يُذْكَرُ

٤٠ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بَعْلُهَا عَلِيّ وَابْنَاهُمَا السِّبْطَانِ فَضْلُهُمْ جَلِيّ

٤١ فَزَيْنَبٌ وَبَعْدَها رُقَيَّهْ وَأُمُّ كُلْثُوْمٍ زَكَتْ رَضِيَّهْ

٤٢ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ وَفَاةُ المُصْطَفَى خُيِّرْنَ فَاخْتَرْنَ النَبِيَّ المُقْتَفَى

٤٣ عَائِشَةٌ وَحَفْصَةٌ وَسَوْدَهْ صَفِيَّةٌ مَيْمُوْنَةٌ وَرَمْلَهْ

٤٤ هِنْدٌ وَزَيْنَبٌ كَذَا جُوَيْرِيَهْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ أُمَّهَاتٌ مُرْضِيَهْ

٤٥ حَمْزَةُ عَمُّهُ وَعَبَّاسٌ كَذَا عَمَّتُهُ صَفِيَّةٌ ذَاتُ احْتِذَا

٤٦ وَقَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ الإِسْرَا مِنْ مَكَّةٍ لَيْلاً لِقُدْسٍ يُدْرَى

٤٧ وَبَعْدَ إِسْرَاءٍ عُرُوْجٌ لِلسَّمَا حَتَى رَأَى النَّبِيُّ رَبًّا كَلَّمَا

٤٨ مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ وَانْحِصَارٍ وَافْتَرَضْ عَلَيْهِ خَمْسًا بَعْدَ خَمْسِيْنَ فَرَضْ

٤٩ وَبَلَّغَ الأُمَةَ بِالإِسْرَاءِ وَفَرْضِ خَمْسَةٍ بِلا امْتِرَاءِ

٥٠ قَدْ فَازَ صِدِّيْقٌ بِتَصْدِيْقٍ لَهُ وَبِالعُرُوْجِ الصِّدْقُ وَافَى أَهْلَهُ

٥١ وَهَذِهِ عَقِيْدَةٌ مُخْتَصَرَهْ وَلِلْعَوَامِ سَهْلَةٌ مُيَسَّرَهْ

٥٢ نَاظِمُ تِلْكَ أَحْمَدُ المَرْزُوْقِيْ مَنْ يَنْتَمِيْ لِلصَادِقِ المَصْدُوْقِ

٥٣ وَالحَمْدُ للهِ وَصَلَّى سَلَّمَا عَلَى النَبِيِّ خَيْرِ مَنْ قَدْ عَلَّمَا

٥٤ وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَكُلِّ مُرْشِدِ وَكُلِّ مَنْ بِخَيْرِ هَدْيٍ يَقْتَدِي

٥٥ وَأَسْأَلُ الكَرِيْمَ إِخْلاصَ العَمَلْ وَنَفْعَ كُلِّ مَنْ بِهَا قَدِ اشْتَغَلْ

٥٦ أَبْيَاتُهَا (مَيْزٌ) بِعَدِّ الجُمَّلِ تَارِيْخُهَا (لِيْ حَيُّ غُرٍّ) جُمِّلِ

٥٧ سَمَّيْتُهَا عَقِيْدَةَ العَوَامِ مِنْ وَاجِبٍ فِي الدِيْنِ بِالتَمَامِ

مَعُوْنَةُ الـمُحَامِي عَمَّا حَوَتْ عَقِيْدَةُ العَوَامِ

الـمُقَدّمَةُ

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَبْـــدَأُ بِاسْـــمِ اللَّهِ وَالـــرَّحْمٰنِ وَبِالـرَّحِيـــمِ دَائِـــمِ الإِحْـــسَانِ

ابتدأ المصنّف رحمه اللّه نظمه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز إذ ما من سورة فيه إلّا وتبدأ بالبسملة سوى سورة براءة، واقتداء بفعل النّبيّ الكريم ﷺ فإنّه كان يصدّر رسائله بالبسملة، وعلى هديه درج الخلفاء الرّاشدون من بعده وتبعهم في ذلك السّلف والخلف.

والابتداء بالبسملة سنة في كلّ أمر له شرف شرعًا سوى ما ورد فيه غيرها كالصّلاة فإنّها تبدأ بالتّكبير، والدّعاء فإنّه يبدأ بالحمدلة. والتّقدير بسم اللّه أنظم، أو أصنّف، أي أبتدئ نظمي متبركًا بذكر اسم اللّه تعالى.

ولفظ الجلالة اللّه علم للذّات المقدّس، الواجب الوجود المستحقّ لجميع المحامد، وهو من له الإلٰهيّة وهي القدرة على الاختراع أي الخلق وهو الإبراز من العدم إلى الوجود. وهو سبحانه وتعالى وحده المستحقّ للعبادة وهي نهاية التّذلّل وأقصى غاية الخشوع والخضوع[1].

(١) كما قال بذلك الإمام الحافظ الفقيه اللغويّ تقيّ الدين علي بن عبد الكافي السبكيّ وغيره كأبي منصور في كتاب «تهذيب اللغة» وابن منظور صاحب كتاب «لسان العرب» والفراء، ولفظ السّبكي: «العبادة أقصى غاية الخشوع والخضوع»، ذكر ذلك الإمام اللغويّ الحافظ محمد مرتضى الزبيديّ في شرح القاموس، وممّن فسّر العبادة بذلك أيضا الرّاغب الأصبهانيّ وهو لغويّ مشهور يكثر النقل عنه صاحب شرح القاموس محمد مرتضى الزبيديّ قال في تأليفه مفردات القرءان: «العبادة غاية التذلّل».

والرّحمن من أسماء اللّه تعالى الخاصّة الّتي لا يسمّى بها ولا يوصف بها غيره، بخلاف الرّحيم يوصف به غير اللّه تعالى فيقال رجل رحيم.

والرّحمن أبلغ من الرّحيم لما فيه من الزّيادة عن حروف جذره الثّلاثة: الرّاء، والحاء، والميم، ففي الرّحمن زيادة حرفين: الألف والنّون، وفي الرّحيم زيادة حرف واحد وهو الياء، والزّيادة في المبنى تدلّ على زيادة في المعنى، ولذا كان في الرّحمن زيادة مدلول في المعنى عمّا في الرّحيم.

والرّحمن معناه الكثير الرّحمة للمؤمنين والكافرين في الدّنيا. وأمّا الرّحيم فمعناه الكثير الرّحمة للمؤمنين فقط في الآخرة، قال الله تعالى ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

وقال اللّه تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] أي وسعت رحمتي في الدّنيا كلّ مسلم وكافر ﴿فسأكتبها﴾ أي في الآخرة ﴿للّذين يتّقون﴾ أي أخصّها لمن اجتنب الكفر بأنواعه فمات على الإيمان.

وقوله **(دَائِمِ الإِحْسَان)** لإكمال البيت. فاللّه تبارك وتعالى هو المحسن المنعم على عباده بنعم لا تعدّ ولا تحصى، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[3].

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالحَمْدُ للهِ القَدِيْمِ الأوَّلِ الآخِرِ البَاقِيْ بِلا تَحَوُّلِ

الحمد للّه معناه كمال الحمد وجميع المحامد مستحقّة للّه سبحانه وتعالى. والحمد لغة: الثّناء -أي المدح- باللّسان على الجميل الاختياريّ -أي الإحسان المتفضّل به من غير أن يكون واجبًا عليه- على جهة التّبجيل

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.
(٣) سورة النمل، الآية ٥٣.

والتّعظيم، فخرج بذلك اللّفظ الموضوع في أصله للثّناء والمدح المستعمل للتّهكّم والاستهزاء كما في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[1] فإنّه تهكّم بالكافر وليس حمدًا وثناء.

والحمد شرعًا: فعل أو قول يدلّ على تعظيم المنعم وشكره لكونه منعمًا. وأتى النّاظم بالحمد بعد البسملة اقتداء بفاتحة الكتاب وعملًا بحديث رسول اللّه ﷺ: «**كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد للّه فهو أقطع**» رواه أبو داود وغيره، أي قليل البركة.

ومعنى (**الْقَدِيمِ**) إذا أطلق على اللّه أي الّذي لا ابتداء لوجوده، أي فلم يسبق وجوده عدم، فَقِدَمُ اللّه ذاتيّ وليس زمنيًّا. وورد في تعداد أسماء اللّه الحسنى القديم وإن لم يثبت إسناده، لكن أجمعت الأمّة على جواز إطلاق القديم على اللّه، ذكره الحافظ الزّبيديّ في شرح إحياء علوم الدّين.

ويدلّ على ذلك أيضًا ما ورد من أنّه ﷺ كان يقول إذا أراد دخول المسجد: «**أعوذ باللّه العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشّيطان الرّجيم**» رواه أبو داود بإسناد حسن. وإذا ثبت جواز إطلاق القديم على سلطان اللّه تعالى، جاز إطلاقه على ذات اللّه سبحانه وتعالى.

ومعنى (**الْأَوَّلِ**) الأزليّ الّذي لا ابتداء لوجوده فهو وحده الأوّل بهذا المعنى إذ كلّ ما سوى اللّه كان معدومًا ثمّ صار موجودا، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[2] أي الّذي لا ابتداء لوجوده، فهو موجودٌ قبل الزّمان والمكان.

ومعنى (**الآخِرِ الْبَاقِيْ**) الّذي لا انتهاء لوجوده، فلا يلحقه سبحانه وتعالى عدم ولا فناء. قال تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ أي ويبقى ذات ربّك. فالوجه هنا يتعيّن تفسيره بالذّات ولا يصحّ تفسيره بالصّفة لأنّ الذّات هو الّذي يوصف بذي الجلال والإكرام لا الصّفة.

---

(١) سورة الدخان، الآية ٤٩.

(٢) سورة الحديد، الآية ٣.

ومعنى (بِلَا تَحَوُّلِ) أي بلا تغيير، والتّحوّل الانتقال من حال إلى حال، ومن طور إلى طور، وهو مستحيل في حقّ اللّه تعالى، لأنّ التّغير من صفات المخلوقات، والمتغيّر محتاج لمن غيّره والاحتياج نقص واللّه تعالى منزّه عن كلّ نقص وعيب.

وأثنى اللّه تعالى على احتجاج إبراهيم عليه السّلام[1] على عدم صحّة الألوهيّة للكوكب والقمر والشّمس بكون الثّلاثة جسمًا يتحوّل من حال إلى حال[2]، والتّحوّل من أوصاف الجسم، فدلّ ذلك على أنّ اللّه ليس جسمًا، ولا يتّصف بصفات الجسم كالتّحول من حال إلى حال كتحوّل الشّمس من المشرق إلى المغرب.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُـمَّ الـصَّلاةُ والسَّـلامُ سَرْمَـدَا عَـلَـى الـنَّبِيِّ خَـيْرِ مَـنْ قَـدْ وَحَّدَا

عطف النّاظم على ما تقدّم الصّلاة من الله على النّبيّ ﷺ، والصّلاة التّعظيم أي يا ربّ زد سيّدنا محمدًا شرفًا وتعظيمًا. وأمّا السّلام فمعناه الأمان أي وأمنه يا ربّ ممّا يخاف على أمّته. وقوله (سَرْمَدَا) أي مستمرًّا بلا انقطاع.

وقوله (خَيْرِ مَنْ قَدْ وَحَّدَا) يريد به النّبيّ ﷺ فهو خير من وحّد اللّه، وخير من عبد اللّه، وهو سيّد الأنبياء، بل وسيّد ولد ءادم أجمعين كما يدلّ على

(١) قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ سورة الأنعام، الآية ٨٣.

(٢) قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ سورة الأنعام، الآيات ٧٥ – ٧٨.

ذلك حديث التّرمذيّ «أنا سيّد ولد ءادم يوم القيامة ولا فخر» أي لا أقول ذلك افتخارًا إنّما أقول ذلك تحدثًا بنعمة اللّه.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَءالِـهِ وَصَـحْبِهِ وَمَـــنْ تَبِـعْ سَـبِيـلَ دِيْنِ الحَقِّ غَيْرَ مُبْتَدِعْ

قد يراد بالآل مطلق أتباع النّبيّ ﷺ الأتقياء، وقد يراد بالآل أزواجه وأقرباؤه المؤمنون، أي أهل بيته وهم عليّ وفاطمة وحسن وحسين وأمّهات المؤمنين. والصّحب جمع صاحب وهو كلّ من اجتمع به ﷺ على سبيل العادة مؤمنًا به ومات على الإسلام.

قوله: **(وَمَـــنْ تَبِعْ سَبِيـلَ دِيْنِ الحَقِّ)** أي التزم دين الإسلام وهو الدّين الصّحيح وما سواه باطل، وهو الدّين الّذي رضيه اللّه لعباده وأمرنا باتّباعه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2].

وقد يسمّى ما سوى الإسلام دينا كأن يقال دين اليهود ودين المجوس لكنّه دين باطل، واللّه أمر الرّسول أن يقول لكفّار مكّة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾[3] أي أنا ما أزال على ديني الّذي هو حقّ وأنتم لكم دينكم الباطل فعليكم أن تتركوه.

وقول النّاظم **(غَيْرَ مُبْتَدِعْ)** أي غير محرّف للدّين أي لا يأتي بشيء محدث مخالف لما كان عليه النّبيّ ﷺ والصّحابة الكرام.

والبدعة لغة ما أحدث على غير مثال سابق، وشرعًا البدعة المحدث الذي

(١) سورة ءال عمران، الآية ١٩.

(٢) سورة ءال عمران، الآية ٨٥.

(٣) سورة الكافرون، الآية ٦.

لم ينصّ عليه القرءان ولا الحديث. وتنقسم البدعة إلى قسمين، قسم يخالف ما نصّ عليه الله ورسوله، وقسم لا يخالفه بل يوافقه في نظر أهل العلم.

قال الإمام الشّافعيّ رضي الله عنه «المحدثات من الأمور ضربان، أحدهما ما أحدث ممّا يخالف كتابًا أو سنّة أو إجماعًا أو أثرًا فهذه البدعة الضّلالة، والثّانية ما أحدث من الخير ولا يخالف كتابا أو سنّة أو إجماعا وهذه محدثة غير مذمومة»، رواه البيهقيّ بالإسناد الصّحيح في كتابه «مناقب الشّافعيّ».

فالقسم الأول هو ما أحدث وكان مخالفًا للقرءان والحديث ويسمّى البدعة الضّلالة أو البدعة السّيّئة، كما يفهم ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**»، أي مردود.

وهذا القسم إمّا اعتقاديّ وإمّا عمليّ:

فالاعتقـاديّ كعقيدة المشبّهة والمجسّمة والمعتزلة والقدريّة والخوارج. وكلّ من هؤلاء يتعلّقون بآيات فهموها على غير وجهها وظنّوا أنّ ما هم عليه حقّ موافق للقرءان، ولم يدروا أنّ القرءان ذو وجوه كما قال عمر رضي اللّه عنه تأتي الكلمة الواحدة لمعنيين ولأكثر من حيث لغة العرب فبعض هذه المعاني يصحّ تفسير القرءان بها والبعض الآخر لا يصحّ تفسير القرءان بها، فهؤلاء الفرق أخذوا بالمعاني الّتي لا يصحّ أن تكون مرادة أي مرضيّة للّه ورسوله ﷺ.

مثال ذلك حمل المشبّهة الوجه واليد والعين المضافة إلى اللّه تعالى في القرءان على معنى الجارحة. فاليد والوجه والعين نثبتها صفات للّه لورودها في القرءان لا جوارح بل لها معان تليق باللّه تعالى.

وأمّا البدع العمليّة فهي مثل بدعة تحريف اسم اللّه كالّذين يقولون «ءاه» ويعتبرونه اسما للّه، ومثل كتابة «ص» أو «صلعم» بعد اسم النّبيّ ﷺ وهو مكروه كما نصّ عليه العلماء.

والقسم الثّاني من أقسام البدعة هو البدعة الحسنة وهي ما أحدثه أهل العلم

ممّا لا يخالف القرءان والحديث كإحداث المحاريب المجوّفة، والمآذن، وشكل القرءان ونقطه فإنّه أحدثه بعض العلماء ممّن كان في القرن الأوّل كعمر ابن عبد العزيز، ويحيى بن يعمر[1].

ومنها أيضًا طرق أهل اللّه الرّفاعيّة والقادريّة وغيرهما، والاحتفال بمولد النّبيّ ﷺ في شهر ربيع الأول، فهذه كلّها من السّنّة الحسنة الدّاخلة تحت حديث رسول اللّه ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيء**».

وأمّا حديث أبي داود وغيره: «كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة» فمعناه أنّ كلّ محدثة لا توافق الشّرع فهي بدعة قبيحة وسنة ضلالة.

(١) قال أبو بكر بن أبي داود صاحب السّنن في كتابه المصاحف [(٩٥٢)] «أوّل من نقط المصاحف يحيى بن يعمر» اهـ

فصل في الإيمان بالله تعالى وصفاته

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ بِوُجُوبِ الْمَعْرِفَهْ مِنْ وَاجِبٍ لِلَّهِ عِشْرِيْنَ صِفَهْ

بعد أن فرغ النّاظم من المقدّمة انتقل للكلام عن معرفة اللّه تعالى وصفاته وهو أعلى الواجبات وأفضلها وأوّلها وأهمّها وأولاها لما ينبني على ذلك من صحّة الإيمان باللّه تعالى وصحّة عبادته إذ لا تصحّ العبادة إلّا بعد معرفة المعبود.

قال الغزاليّ في روضة الطّالبين: «فيجب عليك أوّلًا أنّ تعرف المعبود، ثمّ تعبّده، وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له ويستحيل عليه في نعته فربّما تعتقد اعتقادًا في صفاته، شيئًا ممّا يخالف الحقّ، فتكون عبادتك هباء منثورًا».

وجرت عادة العلماء المؤلّفين[1] في العقيدة على قولهم إنّ الواجب العينيّ المفروض على كلّ مكلّف أي البالغ العاقل أن يعرف من صفات اللّه ثلاث عشرة صفة وهي:

الوجود، والقِدَم أي الأزليّة، والمخالفة للحوادث أي عدم مشابهتها، والوحدانيّة في الذّات والصّفات والأفعال، والقيام بنفسه أي عدم الحاجة إلى

(١) منهم محمد بن يوسف السنوسيّ صاحب العقيدة السنوسية المتوفّى سنة ثمانمائة وخمس وتسعين، ومحمد بن الفضاليّ الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وست وثلاثين، وعبد المجيد الشّرنوبي المالكي المتوفى سنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين، وقبلهم بكثير ذكر مثل ذلك أبو حنيفة في كتاب «الفقه الأكبر»، وعلى مثل ذلك نص الحافظ النووي في كتاب «المقاصد»، وغيرهم كثير.

الغير، والبقاء بلا انتهاء، والقدرة على كلّ شيء، والإرادة الشّاملة للخير والشّرّ، والحياة بلا روح ولا جسد، والعلم بكلّ شيء، والكلام بلا حرف ولا صوت ولا لغة، والسّمع بلا إذن ولا ءالة أخرى، والبصر بلا عين ولا حدقة.

وتنقسم هذه الصّفات الثّلاث عشرة إلى ثلاثة أقسام: نفسيّة وهي الوجود لأنّ الذّات لا يتعقّل بدون هذه الصّفة، وثمان يقال لها صفات المعاني لكلّ منها معنى قائم بذات اللّه وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسّمع والبصر والبقاء والكلام.

وأمّا الوحدانيّة والقدم ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه فتسمّى الصفات السلبيّة أي إنّ كلّا منها هو سلب أي نفي نقص عن الله تعالى، فالقِدَمُ هو انتفاء الحدوث، والوحدانيّة هي انتفاء الشّريك، والقيام بالنّفس هو انتفاء الحاجة، والمخالفة للحوادث هي انتفاء الشّبيه والمثيل.

وقال بعض العلماء[1]، وتبعهم في ذلك المرزوقيّ صاحب النّظم رحمه اللّه، بوجوب معرفة عشرين صفة فزادوا سبع صفات معنويّة، قالوا: وكونه تعالى قادرًا ومريدًا وحيًا وعالمًا ومتكلمًا وسميعًا وبصيرًا.

والقول بإيجاب معرفة ثلاث عشرة صفة للّه لا عشرين هو الرّاجح لأنّ معرفة صفات المعاني تستلزم معرفة ثبوت الصّفات المعنويّة للّه، فإنّه يلزم من معرفة ثبوت العلم للّه معرفة كونه عالمًا، ومعرفة اتّصافه تعالى بالحياة مثلا يفهم منه كونه حيًّا، ومعرفة اتّصافه بالقدرة يفهم منه كونه قديرًا وهكذا.

(١) كمحمد الفضالي الشافعي في كتابه كفاية العوام.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَـاللهُ مُـوْجُـودٌ قَـدِيـمٌ بَاقِـيْ مُخَـالِـفٌ لِلْـخَـلْقِ بِالإِطْـلاقِ

الصّفة الأولى الّتي يجب على كلّ مكلّف معرفتها هي الوجود أي أنّ اللّه تعالى موجود أزلًا وأبدًا فليس وجوده تعالى بإيجاد موجد. فيجب اعتقاد أنّ الله تعالى موجود لا ابتداء لوجوده، وأنّه منفرد بذلك، فلا موجود قديم أزليّ إلّا اللّه. قال اللّه تعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[1].

وقال النّبيّ ﷺ «**كان اللّه ولم يكن شيء غيره**» رواه البخاريّ. ومعناه أنّ اللّه لم يزل موجودًا في الأزل ليس معه غيره لا ماء ولا هواء ولا أرض ولا سماء ولا كرسيّ ولا عرش ولا إنس ولا جنّ ولا ملائكة ولا زمان ولا مكان ولا جهات فهو تعالى موجود قبل المكان بلا مكان، وهو الّذي خلق المكان فليس بحاجة إليه.

ويكفي في تنزيه اللّه عن المكان والحيّز والجهة قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] لأنّه لو كان له مكان لكان له أمثال وأبعاد طول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان محدثا محتاجا لمن حدّه بهذا الطّول وبهذا العرض وبهذا العمق.

قال البيهقيّ في كتابه «الأسماء والصّفات»: «استدلّ بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النّبيّ ﷺ «**أنت الظّاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**» وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ.

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٠.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

قال ابن هبة الله المكيّ في العقيدة الصّلاحيّة:

وصانع العالم لا يحويه قطر تعالى الله عن تشبيه
قد كان موجودا ولا مكانا وحكمه الآن على ما كانا
سبحانه جلّ عن المكان وعزّ عن تغيّر الزّمان

وروى أبو منصور التّميميّ وغيره قول عليّ كرّم اللّه وجهه «كان اللّه ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» اهـ وروى الحافظ اللّغويّ محمّد مرتضى الزّبيديّ في شرح الإحياء بالإسناد المتّصل أنّ الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين كان يقول «سبحانك لا يحويك مكان» اهـ

وذكر العلماء أنّه يجب على كلّ مكلّف معرفة الدّليل العقليّ الإجماليّ على وجود اللّه تعالى كأن يقول الشّخص في نفسه الكتابة لا بدّ لها من كاتب، والبناء لا بدّ له من فاعل، والكتابة والبناء جزء من هذا العالم، فهذا العالم بالأولى لا بدّ له من خالق خلقه لا يشبهه بوجه من الوجوه، أو يقول في نفسه أنا كنت بعد أن لم أكن، وما كان بعد أن لم يكن لا بدّ له من مكوّن فإذًا أنا لا بدّ لي من مكوّن كونني موجود لا يشبه شيئًا، وهكذا سائر أفراد العالم لا بدّ لها من مكوّن كونها لا يشبهها بحال.

وقول النّاظم (قَـدِيْـمٌ) يريد به أنّه يجب للّه القِدَم بمعنى الأزليّة، أي انتفاء البداية، وهو بمعنى الأوّل كما تقدّم بيانه، فالله قديم أزليّ لم يسبق وجوده عدم لا بمعنى تقادم العهد والزّمن، لأنّ لفظ القديم والأزليّ إذا أطلقا على اللّه كان المعنى أنّه لا بداية لوجوده، فيقال اللّه أزليّ، اللّه قديم، وإذا أطلقا على المخلوق كانا بمعنى تقادم العهد والزّمن، قال اللّه تعالى في القمر ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾[1].

وقوله (بَاقِي) معناه يجب للّه البقاء أي أنّه لا نهاية لوجوده لا يموت ولا

(١) سورة يس، الآية ٣٩.

يهلك ولا يتغيّر، قال اللّه تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] أي ذاته.

وهو تبارك وتعالى الباقي لذاته لا باقي لذاته غيره، وأمّا الجنّة والنّار فبقاؤهما ليس بالذّات بل لأنّ اللّه شاء لهما البقاء، فالجنّة باعتبار ذاتها يجوز عليها الفناء، وكذلك النّار باعتبار ذاتها يجوز عليها الفناء، فهما باقيتان بإبقاء اللّه لهما[2].

والبرهان العقليّ على وجوب البقاء للّه تعالى أنّه تعالى لو جاز عليه العدم لكان يجوز عليه ما يجوز على الحوادث، وما كان كذلك فهو حادث، فلمّا ثبت في العقل وجوب القدم للّه وجب له البقاء واستحال عليه الفناء.

ويجب للّه تعالى المخالفة للحوادث أي المخلوقات، وهو ما عناه النّاظم بقوله **(مُخالِفٌ لِلْخَلْق بِالْإِطْلَاقِ)**، فاللّه تعالى لا يشبه شيئًا من خلقه بأيّ وجه من الوجوه.

والدّليل العقليّ على ذلك أنّه لو كان يشبه شيئًا من خلقه لجاز عليه ما يجوز على الخلق من التّغيّر والتّطوّر والعجز والضّعف والصّحّة والمرض، ولو جاز عليه ذلك لاحتاج إلى من يغيّره من حال إلى حال، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلـهًا فوجب أنّه لا يشبه شيئا.

والبرهان النّقليّ لوجوب مخالفة الله تعالى للحوادث ءايات منها قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وهو أوضح دليل نقليّ في ذلك، لأنّ هذه الآية تفهم التّنزيه الكلّيّ لأنّ اللّه تبارك وتعالى ذكر فيها لفظ ﴿ شَىْءٍ ﴾ في سياق النّفي، والنّكرة إذا أوردت في سياق النّفي فهي للشّمول.

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٢٧.

(٢) أقسام الموجود ثلاثة الأول: أزليّ أبديّ أي لا بداية ولا نهاية لوجوده وهو الله تعالى وصفاته. والثاني: أبديّ لا أزليّ أي أن له بداية ولا نهاية له وهو الجنة والنار فهما مخلوقتان أي لهما بداية إلا أنه لا نهاية لهما أي أبديتان فلا يطرأ عليهما خراب أو فناء لمشيئة الله بقاءهما، أما من حيث ذاتهما فيجوز عليهما الفناء عقلا. والثالث: لا أزليّ ولا أبديّ أي أن له بداية وله نهاية وهو كل ما في هذه الدنيا من السموات السبع والأرض فلا بد من فنائهما وفناء ما فيهما من إنس وجن وملائكة.

فاللّه تبارك وتعالى نفى بهذه الجملة عن نفسه مشابهة الأجرام والأجسام والأعراض، فهو تبارك وتعالى لا يشبه ذوي الأرواح من إنس وجنّ وملائكة وغيرهم، ولا يشبه الجمادات من الأجرام العلويّة والسّفليّة.

ويشمل نفي مشابهة اللّه لخلقه تنزيهه تعالى عن الكمّيّة والكيفيّة، فالكميّة هي مقدار الجرم، فهو تبارك وتعالى ليس كالجرم الّذي يدخله المقدار والمساحة والحدّ، وأمّا الكيفيّة فهي كلّ ما كان من صفات المخلوقين كالحجم والجسميّة والشّكل واللّون.

ومن قال إنّ اللّه تعالى له حدّ فقد شبّهه بخلقه لأنّ كلّ الأجرام لها حدّ، إما حدّ صغير وإما حدّ كبير وذلك ينافي الألوهيّة، واللّه تبارك وتعالى لو كان ذا حدّ ومقدار لاحتاج إلى من جعله بذلك الحدّ والمقدار كما تحتاج الأجرام إلى من جعلها بحدودها ومقاديرها لأنّ الشّيء لا يخلق نفسه على مقداره، ولا يصحّ في العقل أن يكون هو جعل نفسه بذلك الحدّ، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلهًا لأنّ من شرط الإله الاستغناء عن كلّ شيء.

وقال الإمام أبو حنيفة (١٥٠هـ) في بعض رسائله في علم الكلام: «أنّى يشبه الخالق مخلوقه» معناه لا يصحّ عقلاً ولا نقلًا أن يشبه الخالق مخلوقه.

وقال أبو سليمان الخطّابيّ (٣٨٨هـ): «إنّ الّذي يجب علينا وعلى كلّ مسلم أنّ يعلمه أنّ ربّنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإنّ الصّورة تقتضي الكيفيّة وهي عن اللّه وعن صفاته منفيّة» رواه عنه البيهقيّ في الأسماء والصّفات.

وقال الإمام أبو المظفّر الأسفرايني (٤٧١هـ) في كتابه التَبصير في الدّين في بيان اعتقاد أهل السّنّة والجماعة: «وأن تعلم أنّه لا يجوز عليه الكيفيّة والكمّيّة والأينيّة، لأنّ من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أوّل له لا يقال له ممّ كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان، وقد ذكرنا من كتاب اللّه تعالى ما يدلّ على التّوحيد ونفي التّشبيه ونفي المكان والجهة ونفي الابتداء والأوّليّة، وقد جاء فيه عن

أمير المؤمنين عليّ رضي اللّه عنه أشفى البيان حين قيل له: أين اللّه؟ فقال: إنّ الّذي أين الأين لا يقال له أين. فقيل له: كيف اللّه؟ فقال: إنّ الّذي كيّف الكيف لا يقال له كيف» اهـ

وهو تعالى ليس من قبيل العالم الكثيف الّذي يقبض باليد كالأرض والحجر والكواكب والنّبات والإنسان، وليس من قبيل العالم اللّطيف الّذي لا يقبض باليد كالنّور والرّوح والهواء والجنّ والملائكة لمخالفته للحوادث أي لمخالفته جميع المخلوقات.

فلا نظير له تعالى أي لا مثيل له ولا شبيه في ذاته ولا في صفاته ولا في فعله، لأنّه لو كان مماثلًا لمخلوقاته بوجه من الوجوه كالحجم والحركة والسّكون ونحو ذلك لم يكن خالقًا لها. فذات اللّه لا يشبه ذوات المخلوقين، وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين لأنّ صفات اللّه أزليّة وصفات المخلوقين حادثة يجوز عليها التّطوّر والتّغيّر، فلا يتّصف اللّه بصفة لم يكن متّصفًا بها في الأزل. وفعل اللّه أيضًا لا يشبه فعل المخلوقين لأنّ اللّه تعالى يفعل بمعنى الإخراج من العدم إلى الوجود ولا فاعل على هذا الوجه إلّا اللّه، فاللّه تعالى يفعل بقدرته الأزليّة وبتكوينه الأزليّ بلا مباشرة ولا مماسّة لشيء.

قال الإمام أحمد بن سلامة أبو جعفر الطّحاويّ (٣٢٤هـ)، وهو من السّلف الصّالح[1]، في عقيدته المشهورة المرضيّة الموسومة بالقبول الّتي ذكر أنّها بيان عقيدة أهل السّنّة والجماعة: «ومن وصف اللّه بمعنى من معاني البشر فقد كفر» أي إنّ من وصف اللّه تعالى بصفة من صفات البشر المحدثة فقد كفر لإثباته المماثلة بين اللّه تعالى وبين خلقه. وأوّل صفات البشر هي الحدوث أي

(١) هو من أهل القرن الثّالث، فهو داخل في حديث «خير القرون قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم» رواه الترمذيّ. والقرن المراد به مائة سنة كما قال ذلك الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري الذي ألّفه في التنويه بأبي الحسن الأشعري رضي الله عنه.

الوجود بعد عدم، ومنها أيضًا الجلوس والاتّصال والانفصال والحركة والسّكون والانفعال والتّنقّل من علوّ إلى سفل والتّحيّز في المكان والجهة واللّه منزّه عن كلّ ذلك سبحانه وتعالى عمّا يقول الظّالمون علوًا كبيرًا.

وقول أبي جعفر الطّحاويّ هذا دليل على أنّ السّلف يكفرون المجسّم أي من يعتقد أنّ اللّه جسم لطيف أو كثيف، قال بهذا الأئمّة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشّافعيّ وأحمد بن حنبل بل قال أحمد: «من قال إنّ اللّه جسم لا كالأجسام كافر» كما ذكره صاحب الخصال الحنبليّ.

وقال سيّدنا عليّ رضي اللّه عنه في ما رواه عنه الحافظ أبو نعيم في الحلية: «ومن زعم أنّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود» اهـ.

وحكم الإمام أبو حنيفة رضي اللّه عنه في كتابه الفقه الأبسط بكفر من قال لا أعرف ربّي أفي السّماء أم في الأرض لأنّه نسب للحقّ مكانًا. كما حكم الإمام مالك بكفر المجسّمة كغيرهم من أهل البدع الاعتقاديّة.

وقال الإمام الشّافعيّ رضي اللّه عنه: «من انتهض لمعرفة مدبّره فاطمأنّ إلى العدم الصّرف فهو معطّل، ومن اطمأنّ إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبّه، ومن اطمأنّ إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحّد» اهـ ونقل عنه القاضي حسين الملقّب بحبر الأمة أنّه نصّ على كفر من قال إنّ اللّه جالس على العرش اهـ ونقله عنه القاضي ابن المعلّم القرشيّ في نجم المهتدي، ولذلك جزم النّوويّ في المجموع بكفر المجسّمة ونقله ابن الرّفعة في شرح التّنبيه عن نصّ الشّافعيّ وحكاه السّيوطيّ عنه في الأشباه والنّظائر.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعريّ رضي اللّه عنه في النّوادر: «من قال إنّ اللّه جسم فهو غير عارف بربّه وأنّه كافر به» اهـ وذلك لأنّ من قال بأنّ اللّه جسم فقد نسب إليه الحجم ونعته تعالى بالطّول والعرض والعمق، فإذا أثبت له هذا، فقد أثبت له نعت المخلوق لا نعت الخالق فلا ينفعه بعد ذلك أنّ يقول لا كالأجسام، بل يصير حاله كمن يزعم أنّ اللّه جالس لا كالجالسين، أو عاجز

لا كالعاجزين، أو نائم لا كالنّائمين، أو جاهل لا كالجاهلين، أو مريض لا كالمرضى، أو ناقص لا كالنّاقصين، فإنّ كلّ عبارة من عبارات النّفي الآنفة الذّكر لا تفيد قائلها شيئًا بعد أن أثبت للرّبّ عزّ وجلّ صفة النّقص ونسب إليه سبحانه أمارة الحاجة.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَـائِمٌ غَـنِـيٌ وَوَاحِـدٌ وَحَـيٌ قَـادِرٌ مُـرِيْـدٌ عَـالِمٌ بِكُلِّ شَيْ

ذكر النّاظم ستّة من صفات اللّه تعالى الواجب على كلّ مكلّف معرفتها أي معرفة كون اللّه متّصفا بها وإن لم يحفظ ألفاظها. وبعض هذه الصّفات قد توافق صفات الخلق من حيث اللّفظ لا من حيث المعنى. فنقول اللّه موصوف بصفة الحياة والبشر يوصفون أيضًا بالحياة، ولكنّ حياة اللّه لا تشبه حياتنا، إذ إنّ حياتنا لا بدّ لها من روح ولحم ودم وعصّب، بخلاف حياة اللّه فهو حيّ بلا روح ولا لحم ولا عصب. فانتفت المشابهة، ولم يبق إلّا الموافقة في اللّفظ وهي لا توجب اشتراكًا ولا مماثلة.

قوله (وَقَـائِمٌ غَـنِـيٌ) يريد به أنّ من صفات اللّه تعالى القيام بالنّفس وهو استغناؤه عن كلّ ما سواه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه إذ الاحتياج للغير علامة الحدوث واللّه منزّه عن ذلك، واللّه لا ينتفع بطاعة الطّائعين ولا ينضرّ بعصيان العصاة، وكلّ شيء سوى اللّه محتاج إلى اللّه لا يستغني عن اللّه طرفة عين.

قال اللّه تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾، وقال الإمام الطّحاويّ: «ولا غنى عن اللّه تعالى طرفة عين ومن زعم أنّه استغنى عن اللّه طرفة عين فقد كفر».

قوله (وَوَاحِـدٌ) يعني أنّ من صفات اللّه تعالى الوحدانيّة، أي أنّ اللّه ليس له ثان وليس مركبًا مؤلّفًا من أجزاء كالأجسام، فلا يوجد ذات مثل ذاته، وليس لغيره صفة كصفته أو فعل كفعله. وليس المراد بوحدانيّته وحدانيّة العدد إذ

الواحد في العدد كالحجر والإنسان والرّوح له نصف وله أجزاء أيضًا، بل المراد أنّه لا شبيه له فلا يتعدّد ولا ينقسم ولا يتجزّأ كما قال الإمام أبو حنيفة رضي اللّه عنه: «واللّه واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنّه لا شريك له» اهـ وكما قال الإمام أحمد رضي اللّه عنه: «إنّ اللّه عزّ وجلّ واحد لا من عدد لا يجوز عليه التّجزّئ ولا القسمة» اهـ ولشرف هذا المبحث سمّي علم العقائد به فقيل علم التّوحيد.

والدّليل النّقليّ على صفة الوحدانيّة ءايات منها قوله تعالى ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وقوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1]، ومن الأحاديث أنّه ﷺ: «كان إذا تعارّ من اللّيل قال: لا إله إلّا اللّه الواحد القهّار ربّ السّماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار» رواه البخاريّ.

وبرهان وحدانيّته هو أنّه لا بدّ للصّانع من أن يكون حيًّا قادرًا عالمًا مريدًا مختارًا، فإذا ثبت وصف الصّانع بما ذكرناه قلنا لو كان للعالم صانعان وجب أن يكون كلّ واحد منهما حيًّا قادرًا عالمًا مريدًا مختارًا والمختاران يجوز اختلافهما في الاختيار لأنّ كلّ واحد منهما غير مجبر على موافقة الآخر في اختياره، وإلا لكانا مجبورين والمجبور لا يكون إلها، فإذا صحّ هذا فلو أراد أحدهما خلاف مراد الآخر في شيء كأن أراد أحدهما حياة شخص وأراد الآخر موته لم يخل من أن يتمّ مرادهما أو لا يتمّ مرادهما أو يتمّ مراد أحدهما ولا يتمّ مراد الآخر، ومحال تمام مراديهما لتضادّهما أي إن أراد أحدهما حياة شخص وأراد الآخر موته يستحيل أن يكون هذا الشّخص حيًّا وميتًا في ءان واحد، وإن لم يتمّ مرادهما فهما عاجزان والعاجز لا يكون إلها، وإن تمّ مراد أحدهما ولم يتمّ مراد الآخر فإنّ الذي لم يتمّ مراده عاجز ولا يكون العاجز

(١) ومعنى قوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلّا اللّه لفسدتا» أي لو كان لهما، و«في» بمعنى اللام أي للأرض والسّماء، «آلهة إلاّ اللّه لفسدتا» أي غير الله «لفسدتا» أي السّموات والأرض أي ما كانتا تستمران على انتظام.

إلها ولا قديمًا، وهذه الدّلالة معروفة عند أهل السنة تسمّى بدلالة التّمانع وهي مأخوذة من قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

فمن فهم هذا المعنى واعتقده حصل عنده التوحيد الكافي للنّجاة في الآخرة، وليس الأمر كما ابتدع الوهّابيّة حيث قالوا التّوحيد ثلاثة: توحيد الرّبوبيّة، وتوحيد الألوهيّة، وتوحيد الأسماء والصّفات. وزعموا أنّ توحيد الألوهيّة وحده لا يكفي للإيمان، بل لا بدّ من توحيد الرّبوبيّة، وهذا ضدّ قول رسول اللّه ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا اللّه وأنّي رسول اللّه فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها**» رواه البخاريّ.

فالرّسول ﷺ جعل اعتراف العبد بتفريد اللّه بالألوهيّة، وبوصف رسول اللّه ﷺ بالرّسالة كافيًا ولم يشرط توحيدين، وكان رسول اللّه ﷺ إذا نطق الكافر بالشّهادتين يحكم بإسلامه وإيمانه ثمّ يأمره بالصّلاة قبل غيرها من أمور الدّين. وإنّما قسّم الوهابيّة التّوحيد ليتوصّلوا إلى تكفير المسلمين، فإذا قال المسلم أنا أقول لا إله إلّا اللّه، واعتقد أنّه لا خالق لشيء إلّا اللّه، وأنّه لا أحد يستحقّ نهاية التّذلّل إلّا اللّه، وأنّ كلّ شيء يحصل بمشيئة اللّه، قالوا له أنت عندك توحيد الرّبوبيّة، وليس عندك توحيد الألوهيّة وتوحيد الأسماء والصّفات، مع أنّ حديث النّبيّ يشهد على كذبهم فقد ثبت في الحديث المشهور أنّ الميّت في قبره يسأله الملك من ربّك ومن نبيّك وما دينك، فإذا قال ربّي اللّه اكتفى الملكان بذلك في أمر توحيد اللّه.

قول النّاظم (وَحَيّ) يعني أنّه يجب للّه تعالى الحياة، وهي صفة أزليّة أبديّة، فهو حيّ لا كالأحياء إذ حياته أزليّة أبديّة ليست بروح ودم. قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾[1].

وليس من شرط الحياة اللّحم والدّم والرّوح كما هو الحال في البشر. فاللّه خلق الحياة في الجذع الّذي حنّ إلى رسول اللّه من غير روح ولا عظم ولا دم،

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

وكذا الطّعام الّذي سبّح في القصعة بين يديه ﷺ، والشّجر الّذي سلّم عليه ﷺ. الجذع حنّ أي بكى أي صار عنده شوق، والشّوق يكون بحياة بإحساس وإدراك، اللّه خلق فيه هذا كما خلق الخشية في بعض الصّخور فتتساقط قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

والدّليل على وجوب الحياة لله تعالى وجود هذا العالم، فلو لم يكن حيًّا لم يوجد شيء من العالم، لكن وجود العالم ثابت بالحسّ والضّرورة بلا شكّ، ومن ليس حيًّا لا يتّصف بالقدرة والإرادة والعلم ولو كان اللّه تعالى غير متّصف بهذه الصّفات لكان متّصفًا بالضّدّ وذلك نقص واللّه منزّه عن النّقص.

قوله (قَادِرْ) أي أنّ من صفات الله القدرة وهي صفة أزليّة ثابتة لذات الله تعالى يوجد بها المعدوم ويعدم بها الموجود.

وورد ذكر صفة القدرة لله تعالى في القرءان الكريم في عدّة مواضع كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[1] والقوّة هي القدرة. وقال تعالى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾[2] والمراد بالشّيء هنا الممكنات العقليّة، والممكن العقليّ ما يصحّ وجوده تارة وعدمه تارة أخرى فخرج بذلك المستحيل العقليّ لأنّه غير قابل للوجود فلم يصلح أن يكون محلّا لتعلّق القدرة.

فلا تتعلّق القدرة بالواجب العقليّ وهو ذات اللّه وصفاته، ولا بالمستحيل العقليّ أي ما لا يقبل الوجود، ولذلك يمتنع أن يقال هل اللّه قادر على أن يخلق مثله أو على أنّ يعدم نفسه، لا يقال إنّه عاجز عن ذلك ولا يقال قادر على ذلك، ولكن يقال قدرة اللّه لا تتعلّق بالمستحيلات العقليّة[3].

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٨.

(٢) سورة التغابن، الآية ١.

(٣) وخالف بعضهم فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ قادر أن يتّخذ ولدا، إذ لو لم يقدر عليه لكان عاجزا»، وهذا الذي قاله غير لازم لأنّ اتّخاذ الولد محال على الله والمحال العقليّ لا يدخل تحت القدرة. فلا يقال إن الله قادر على أن يتّخذ ولدا ولا يقال إنه عاجز عن ذلك بل يكفر من قال ذلك، كما لا يقال عن الحجر عالم ولا =

وأمّا البرهان العقليّ على وجوب القدرة للّه تعالى فهو أنّه لو لم يكن قادرًا لكان عاجزًا، ولو كان عاجزًا لم يوجد شيء من المخلوقات، والمخلوقات موجودة بالمشاهدة، والعجز نقص والنّقص مستحيل على اللّه إذ من شرط الإله الكمال.

قوله (مُرِيْدٌ) يريد به أنّ من صفات الله الإرادة أي المشيئة، وهي صفة أزليّة أبديّة يخصّص الله بها الجائز العقليّ بالوجود بدل العدم، وبصفة دون أخرى وبوقت دون ءاخر.

فالممكنات العقليّة كانت معدومة ثمّ دخلت في الوجود لتخصيص اللّه تعالى لها بوجودها، إذ كان في العقل جائزًا أن لا توجد ولكنّها إنّما وجدت لتخصيص اللّه تعالى لها بالوجود بدل العدم، ولولا تخصيص اللّه تعالى لما وجد من الممكنات العقليّة شيء.

فيعلم من ذلك أنّ اللّه تعالى خصّص كلّ شيء دخل في الوجود بوجوده بدل أن يبقى في العدم، وبالصّفة الّتي هو عليها دون غيرها، فالإنسان بصورته وشكله الّذي هو عليه الآن إنّما هو بتخصيص اللّه تعالى له بذلك لأنّه كان في العقل جائزًا أن يكون الإنسان على غير هذه الصّفة وهذا الشّكل، وكذا تخصيص الإنسان بوجوده في الوقت الّذي وجد فيه دون ما قبله وما بعده هو من اللّه تعالى أيضًا. الواحد منّا يعلم أنّه ما أوجد نفسه على هذا الشّكل، ولا هو أوجد نفسه في هذا الزّمن الّذي وجد فيه، فوجب أن يكون ذلك بتخصيص مخصّص وهو الموجود الأزليّ المسمّى اللّه.

والبرهان النّقليّ على وجوب الإرادة لله تعالى قوله عز وجل ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا

= جاهل لأنّ مصحح العلم والجهل الحياة ولا يكون هذا من باب الجمع بين النقيضين ولا نفيهما فلا يكون مخالفا لقاعدة النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان في محل واحد.

يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[1] أي أنّه تبارك وتعالى يوجد ويفعل المكوّنات بإرادته الأزليّة.

وبرهان وجوب الإرادة لله أنّه لو لم يكن مريدًا لم يوجد شيء من هذا العالم، لأنّ العالم ممكن الوجود فوجوده ليس واجبًا لذاته عقلًا، والعالم موجود، فعلمنا أنّه ما وجد إلا بتخصيص مخصّص لوجوده وترجيحه له على عدمه، فثبت أنّ الله مريد شاء.

والإرادة بمعنى المشيئة عند أهل السنة والجماعة شاملة لأعمال العباد جميعها الخير منها والشّرّ، فكلّ ما دخل في الوجود من أعمال الشّرّ والخير ومن كفر أو معاص أو طاعة فبمشيئة الله وقع وحصل، وهذا كمال في حقّ الله تعالى لأنّ شمول القدرة والمشيئة لائق بجلال الله، لأنّه لو كان يقع في ملكه ما لا يشاء لكان ذلك دليل العجز والعجز مستحيل على الله.

وكما أنّ خلق القبيح ليس قبيحًا من اللّه، كذلك إرادة وجود القبيح ليس قبيحًا من اللّه، إنّما القبيح فعله وإرادته من الخلق، فاللّه تعالى هو خالق الخمر والخنزير وليس ذلك قبيحًا منه، وإنّما شرب العبد من الخمر وأكله من الخنزير هو القبيح.

وأمّا قوله تعالى ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ فليس معناه أنّه خالق للخير دون الشّرّ، إنّما اقتصر على ذكر الخير هنا للاكتفاء بذكره عن ذكر الشّرّ لأنّه استقرّ في عقيدة المؤمنين أن اللّه خالق كلّ شيء، والشّيء يشمل الخير والشّرّ، ويدلّ على ذلك ما ذكره اللّه تعالى قبل هذه الآية بقوله: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[2] وقد أعطى الملك لمؤمنين أتقياء وأعطى لكفّار ولمسلمين فسقه، ولم يعطهم إلّا بمشيئته وقدرته، فاللّه تعالى حكيم في فعله منزّه عن السّفه، هو خلق الأعمال السّفيهة والأشخاص السّفهاء ولا يكون خلقه ذلك سفهًا كما أنّ خلقه للهوامّ السّامة والحشرات المؤذية كالفأر ليس

(١) سورة هود، الآية ١٠٧.

(٢) سورة ءال عمران، الآية ٢٦.

سفهًا منه تعالى.

ومشيئة اللّه تعالى وتقديره الأزليّ لا يغيّره شيء، لا دعوة داع ولا صدقة متصدّق، ولا صلاة مصلّ ولا غير ذلك من الحسنات، بل لا بدّ أن يكون الخلق على ما قدر لهم في الأزل من غير أن يتغيّر ذلك.

قال رسول اللّه ﷺ «**قال اللّه تعالى إنّي إذا قضيت قضاء فإنّه لا يردّ**» رواه مسلم، وهذا الحديث القدسيّ يستفاد منه أنّه لا أحد يمنع نفاذ مشيئة اللّه، ومن هنا يعلم فساد قول بعض النّاس كان اللّه يريد أن يخلق فلانًا ذكرًا فخلقه أنثى.

وليست المشيئة تابعة للأمر بدليل أنّ الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده إسماعيل ولم يشأ له ذلك. فإن قيل كيف يأمر بما لم يشأ وقوعه؟ فالجواب أنّه قد يأمر بما لم يشأ كما أنّه علم بوقوع شيء من العبد ونهاه عن فعله.

قوله (**عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْ**) يعني أنّ من صفات اللّه تعالى العلم، وهو صفة أزليّة أبديّة ثابتة للّه تعالى، فاللّه تعالى يعلم بعلمه الأزليّ كلّ شيء، يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون، ولا يقبل علمه الزّيادة ولا النّقصان فهو سبحانه وتعالى محيط علمًا بالكائنات الّتي تحدث إلى ما لا نهاية له، حتّى ما يحدث في الدّار الآخرة الّتي لا انقطاع لها يعلم ذلك جملة وتفصيلًا قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا ١٢٦﴾[1].

والدّليل العقليّ على صفة العلم هو أنّه تعالى لو لم يكن عالمًا لكان جاهلًا والجهل نقص واللّه منزّه عن النّقص، وأمّا من حيث النّقل فالنّصوص كثيرة منها قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾[2].

وعلم الله قديم أزليّ كما أنّ ذاته أزليّ، فلم يزل عالمًا بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته، فلا يتّصف بعلم حادث لأنّه لو جاز اتّصافه بالحوادث لانتفى عنه القدم لأنّ ما كان محلّا للحوادث لا بدّ أن يكون حادثًا.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٠٨.

(٢) سورة الحديد، الآية ٣.

وما أوهم ظاهره تجدّد العلم لله تعالى من الآيات القرءانيّة كقوله تعالى ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾[1] فليس المراد به ذلك، فقوله ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ ليس راجعًا لقوله ﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾ بل المعنى أنّه تعالى خفّف عنكم الآن لأنّه علم بعلمه السّابق في الأزل أنّه يكون فيكم ضعف.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

سَمِيْعٌ البَصِيْرُ والمُتَكَلِّمُ لَهُ صِفَاتٌ سَبْعَةٌ تَنْتَظِمُ

ذكر الناظم في هذا البيت السمع والبصر والكلام. وأما قوله (لَهُ صِفَاتٌ سَبْعَةٌ تَنْتَظِم) فأراد به الصّفات السّبعة المعنوية الّتي تزيد على الصّفات الثّلاث عشرة على طريقة من جعل الصّفات الواجب معرفتها عشرين صفة كما سبق بيان ذلك.

قوله (سَمِيْعٌ) يريد أنّ من صفات الله السّمع وهو صفة أزليّة ثابتة لذات الله، فهو يسمع الأصوات بسمع أزليّ أبديّ لا كسمعنا، ليس بأذن وصماخ، فهو تعالى لا يعزب أي لا يغيب عن سمعه مسموع وإن خفي أي علينا وبعد أي عنّا كما يعلم بغير قلب. ولا يجوز أن يكون سمعه تعالى حادثًا كسمع خلقه، ولا يجوز أن يكون بآلة كسمعنا فهو يسمع بلا أذن ولا صماخ.

ودليل وجوب السّمع له عقلًا أنّه لو لم يكن متّصفًا بالسّمع لكان متّصفًا بالصّمم وهو نقص على الله، والنّقص عليه محال، فمن قال إنّه يسمع بأذن فقد ألحد وكفر.

ووقع في التّشبيه بعض من لم يتعلّم علم التّنزيه ممّن اقتصر على حفظ القرءان من دون تلقّ لعلم الدّين تفهّمًا من أفواه أهل العلم الذين تلقّوا ممّن قبلهم فقال إنّ الله له ءاذان، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: أليس قال الرسول «لله

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٦.

أشدّ ءاذانا» فقيل له: أنت حرّفت الحديث فالحديث[1] «أذنًا» بفتح الهمزة والذال وليس ءاذانا، فقد ظنّ بنفسه أنّه عالم فتجرّأ على تحريف هذا الحديث ظنّا منه أنّه الصّواب، والأذن في اللّغة الاستماع، وهذا من أفحش الكذب على الله، لم يقل بذلك أحد من المشبّهة.

فسمع الله تعالى أزليّ، ومسموعاته حادثة، فهو تعالى يسمع هذه الأصوات الحادثة بسمعه الأزليّ الأبديّ الذي ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء بل هو باق دائم كسائر الصّفات. يسمع الله كلامه الأزلي بسمع أزلي ويسمع كلام المخلوقات وأصواتهم بسمع أزلي ليس بسمع يحدث في ذاته عند وجود الحادثات.

قوله (البَصِيْرُ) يريد أنّ من صفات الله البصر وهو صفة أزليّة أبديّة متعلّق بالمبصرات، فيجب لله تعالى عقلًا البصر أي الرّؤية، فهو يرى برؤية أزليّة أبديّة المرئيّات جميعها فيرى ذاته بغير حدقة وجارحة لأنّ الحواسّ من صفات المخلوقين. والدّليل على ثبوت البصر له عقلًا أنّه لو لم يكن بصيرًا رائيًا لكان أعمى، والعمى أي عدم الرّؤية نقص على الله، والنّقص على الله مستحيل.

ودليل السّمع والبصر السّمعيّ الآيات والأحاديث كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2]، وقوله ﷺ في تعداد أسماء الله الحسنى «**السّميع البصير**» وهو في حديث أخرجه التّرمذيّ وصححه ابن حبان.

قوله (وَالـمُتَكَلِّمُ) يعني أنّ من صفات الله تعالى الكلام وهو صفة أزليّة أبديّة هو متكلم بها ءامر ناه واعد متوعّد ليس ككلام غيره بل أزليّ بأزليّة الذّات لا يشبه كلام الخلق وليس بصوت يحدث من انسلال الهواء أو اصطكاك الأجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان.

---

(١) قال رسول اللّه ﷺ: «**للّه أشدّ أذنا إلى الرّجل الحسن الصّوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته**» رواه ابن ماجه.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

فكلام الله صفة أزليّة أبديّة لا يشبه كلام المخلوقين لأنّ كلام المخلوقين حادث وكلام الإنسان صوت يعتمد على مخارج ومقاطع ويبتدأ ويختتم ويكون بلغات وحروف، ومنه ما يحصل بتصادم جسمين، ويعبّر عنه – أي كلام الله – بالقرءان، وكذلك غيره من الكتب المنزّلة، وليست هذه الكتب المنزّلة عين الكلام الذّاتيّ بل هي عبارات عنه.

والدّليل على اتّصاف اللّه بالكلام من حيث العقل أنّه لو لم يكن متكلّمًا لكان أبكم والبكم نقص والنّقص مستحيل على اللّه، وأمّا دليله النّقليّ النّصوص القرءانية والحديثيّة ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[1] أي أسمعه كلامه الأزليّ الأبديّ ففهم منه موسى ما فهم، فتكليم اللّه أزليّ وموسى وسماعه لكلام اللّه حادثان.

فنحن أهل السّنّة نعتقد أنّ موسى سمع كلام اللّه الأزليّ بغير حرف ولا صوت كما يرى المؤمنون ذات اللّه في الآخرة من غير أن يكون جوهرًا ولا عرضًا، لأنّ العقل لا يحيل سماع ما ليس بحرف ولا صوت. وهذا الاعتقاد وسط بين المشبهة القائلين بأنّ اللّه متكلّم بحروف حادثة، وبيّن المعتزلة النّافين عنه كلامًا هو صفة قائمة بذاته أزليّة أبديّة.

وممّا استدلّ به أهل الحقّ على أنّ كلام اللّه تعالى ليس حرفًا ولا صوتًا ءايات منها قوله تعالى ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾[2] وذلك لأنّ اللّه يكلّم كلّ إنسان يوم القيامة فيسمعه كلامه فيفهم العبد من كلام اللّه السّؤال عن أفعاله وأقواله واعتقاداته، وينتهي اللّه عزّ وجلّ من حسابهم في ساعة أي وقت قصير في موقف من مواقف القيامة.

فلو كان حساب اللّه لخلقه من إنس وجنّ بالحرف والصّوت لم يكن اللّه أسرع الحاسبين، بل لكان أبطأ الحاسبين، ولمّا كان ينتهي من حسابهم في

(١) سورة النساء، الآية ١٦٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦٢.

مائة ألف سنة لأنّ الخلق كثير، البشر كلّهم بالنّسبة ليأجوج ومأجوج كواحد من مائة، وفي رواية كواحد من ألف، وبعض الجنّ يعيشون ءالافًا من السّنين، فلو كان حساب الخلق بالحرف والصّوت لكان إبليس وحده يأخذ حسابه وقتًا كثيرا لأنّ إبليس لا يموت إلّا يوم النّفخة.

والدّليل على أنّ العباد يسمعون كلام اللّه يوم القيامة هو حديث رسول اللّه ﷺ: «**ما منكم من أحد إلّا سيكلّمه ربّه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب يحجبه**» رواه البخاريّ.

وقال العلماء أيضًا لو كان اللّه تعالى يتكلّم بحرف وصوت كخلقه لجاز عليه كلّ صفات الخلق من الحركة والسّكون وغير ذلك وهذا محال، فلذلك وجب أن يكون كلام اللّه غير حرف وصوت.

فإن قال المشبّهة: دليلنا على أنّ كلام اللّه بالحرف والصّوت قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[1]

فالجواب: لو كان الأمر كما تدّعون لتناقضت هذه الآية مع غيرها من الآيات، والقرءان يتعاضد[2] ولا يتناقض. وإنّما معنى هذه الآية أنّ اللّه يوجد الأشياء بدون تعب ومشقّة وبدون ممانعة أحد له، أي أنّه يخلق الأشياء الّتي شاء أن يخلقها بسرعة بلا تأخّر عن الوقت الّذي شاء وجودها فيه.

فقوله ﴿كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ يدلّ على سرعة الإيجاد، وليس معناه كلّما أراد اللّه خلق شيء يقول كن كن كن، وإلّا لكان معنى ذلك أنّ اللّه كلّ الوقت يقول كن كن كن وهذا محال لأنّ اللّه عزّ وجلّ يخلق في اللّحظة الواحدة ما لا يدخل تحت الحصر.

ثمّ «كن» لغة عربيّة واللّه تعالى كان قبل اللّغات كلّها وقبل أصناف المخلوقات، فعلى قول المشبّهة يلزم أن يكون اللّه ساكتًا قبل ثمّ صار متكلّمًا

(١) سورة يس، الآية ٨٢.

(٢) قوله (يتعاضد) أي يقوي بعضه بعضًا.

وهذا محال لأنّ هذا شأن البشر وغيرهم، قال أهل السّنّة: لو كان يجوز على اللّه أن يتكلّم بالحرف والصّوت لجاز عليه كلّ الأعراض من الحركة والسّكون والبرودة واليبوسة والألوان والرّوائح والطّعوم وغير ذلك وهذا محال.

وأمّا ما ذهبت إليه المجسّمة من أنّ اللّه ينطق بالكاف والنّون عند خلق كلّ فرد من أفراد المخلوقات فهو سفه لا يقول به عاقل لأنّهم إن قالوا قبل إيجاد المخلوق ينطق اللّه بهذه الكلمة المركّبة من كاف ونون فيكون خطابًا للمعدوم، وإن قالوا إنّه يقول ذلك بعد إيجاد الشّيء فلا معنى لإيجاد الموجود[1].

ونقل هذا التّفصيل عن أبي حنيفة رضي اللّه عنه وهو من السّلف أدرك شيئًا من المائة الأولى ثمّ توفّي سنة مائة وخمسين هجريّة قال: «واللّه يتكلّم لا بآلة وحرف ونحن نتكلّم بآلة وحرف» فليفهم ذلك. وليس الأمر كما تقول المشبّهة بأنّ السّلف ما كانوا يقولون بأنّ اللّه متكلّم بكلام ليس بحرف وإنّما هذا بدعة الأشاعرة، وهذا الكلام من أبي حنيفة ثابت ذكره في إحدى رسائله الخمس.

فالقرءان يطلق ويراد به الكلام الذّاتيّ الّذي صفة قائمة بذات اللّه، ويطلق على اللّفظ المنزّل على سيّدنا محمّد ﷺ، ومن الأدلّة الواضحة في بيان أنّ القرءان يطلق ويراد به اللّفظ المنزّل قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَمَ

(١) ومن أشد المشبهة ابن تيمية فإنه قال في رسالة سماها صفة الكلام إن كلام الله حروف متعاقبة يسبق بعضها بعضا ويتخلله سكوت، وكذلك قال إرادة الله تحدث شيئا فشيئا، فجعل الله تعالى متصفا بصفتين حادثتين فيكون هو نسب الحدوث إلى الله لأن من يقوم به صفة حادثة فهو حادث. انظر كتاب ابن تيمية صفة الكلام (ص ١٥ وما بعدها)، وكتابه المنهاج (١/ ٢٢١)، والموافقة (٢/ ١٤٣). وقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه من اعتقد أن صفة الله حادثة فهو كافر، وكذلك من شك في ذلك أو توقف اهـ وذلك في إحدى رسائله الخمس التي هي صحيحة النسبة إليه كما قال المحدث الحافظ محمد مرتضى الزبيدي وذلك في شرحه على إحياء علوم الدين في أوائل الجزء الثاني، قال ذلك بعد ذكر اختلاف الناس في نسبتها إليه. وهذا دليل فساد فهم ابن تيمية وفساد عقله.

﴿ٱللَّهِ﴾[1] فالكفّار يريدون تبديل اللّفظ المنزّل لا الصّفة الذّاتيّة لأنّه ليس في استطاعتهم أن يغيروا صفة اللّه الذّاتيّة كالكلام والقدرة وغيرهما، وكذلك قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[2] أي إذا جمعناه في صدرك فاتّبع قرءانه أي اعمل به، ويقال قرأت الماء في الحوض أي جمعته.

والقرءان له إطلاقان يطلق على اللّفظ المنزّل على سيدنا محمد ﷺ، وعلى الكلام الذّاتيّ الأزليّ الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربيّة ولا غيرها. فإن قصد به الكلام الذّاتيّ فهو أزليّ ليس بحرف ولا صوت، وإن قصد به وبسائر الكتب السماويّة اللّفظ المنزّل فمنه ما هو باللغة العبريّة ومنه ما هو باللّغة السّريانيّة وهذه اللغات وغيرها من اللغات لم تكن موجودة فخلقها الله تعالى فصارت موجودة والله تعالى كان قبل كلّ شيء، وكان متكلمًا قبلها ولم يزل متكلمًا وكلامه الذي هو صفته أزليّ أبديّ وهو كلام واحد وهذه الكتب المنزلة كلّها عبارات عن ذلك الكلام الذاتيّ الأزليّ الأبديّ.

ولا يلزم من كون العبارة حادثة كون المعبّر عنه حادثًا ألا ترى أنّنا إذا كتبنا على لوح أو جدار «الله» فقيل هذا الله فهل معنى هذا أنّ أشكال الحروف المرسومة هي ذات الله، لا يتوهّم هذا عاقل، إنّما يفهم من ذلك أنّ هذه الحروف عبارة عن الإله الّذي هو موجود معبود خالق لكلّ شيء، ومع هذا لا يقال القرءان وغيره من الكتب المنزّلة مخلوق لكن يبيّن في مقام التّعليم أنّ اللّفظ المنزّل ليس قائمًا بذات اللّه، بل هو مخلوق للّه، لأنّه حروف يسبق بعضها بعضًا، وما كان كذلك حادث مخلوق قطعًا، لكنّه ليس من تصنيف ملك ولا بشر فهو عبارة عن الكلام الذاتيّ الذي لا يوصف بأنّه عربيّ ولا بأنّه عبرانيّ ولا بأنّه سريانيّ، وكلّ يطلق عليه كلام الله، أي أنّ صفة الكلام القائمة بذات الله يقال لها كلام الله، واللّفظ المنزّل الذي هو عبارة عنه يقال له كلام الله.

---

(١) سورة الفتح، الآية ١٥.

(٢) سورة القيامة، الآية ١٨.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَقُدْرَةٌ إِرادَةٌ سَمْعٌ بَصَرْ حَيَاةُ العِلْمُ كَلامٌ اسْتَمَرْ

قد تقدم الكلام عن هذه الصفات قبل، وإنما أعاد الناظم ذكرها هنا لأنه مشى على القول بوجوب معرفة عشرين صفة لله تعالى وهي الصفات الثلاث عشرة: الوجود والقدم والبقاء والسمع والبصر والكلام والإرادة والقدرة والعلم والحياة والوحدانية والقيام بالنفس والمخالفة للحاودث، مع زيادة سبع صفات معنوية سميت بذلك لأنها لازمة لصفات المعاني وهي كونه تعالى عالمًا، قادرًا، مريدًا، حيًا، سميعًا، بصيرًا ومتكلمًا. وقد تقدم بيان ذلك.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَائِزٌ بِفَضْلِهِ وَعَدْلِهِ تَرْكٌ لِكُلِّ مُمْكِنٍ كَفِعْلِهِ

لمّا فرغ النّاظم من ذكر الصّفات الواجبة للّه تعالى، وأنّه يستحيل عليه أضداد هذه الصّفات كالعجز والجهل والاحتياج، عمد في هذا البيت إلى الكلام عمّا يجوز عقلًا في حقّ اللّه سبحانه وتعالى كخلق شيء وتركه فإنّ اللّه تبارك وتعالى يوجد ما يشاء باختياره وما لم يشأ وجوده لا يوجده سبحانه.

وكذا الهداية والإضلال كلّ بفضله وعدله، يهدي من يشاء فضلًا منه تعالى لا لأنّه ملزم بذلك، ويضلّ من يشاء عدلًا منه تعالى لا ظلمًا وجورًا. قال اللّه تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[1]. وهذا متوافق ومنسجم مع قول الإمام الطحاوي في عقيدته: «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضلّ من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا» اهـ.

فاللّه تعالى إذا عذّب العاصي الّذي شاء له الوقوع في المعصية وقدّرها عليه

(١) سورة المدثر، الآية ٣١.

على وفق علمه الأزليّ فبعدله يعذّبه من غير ظلم، لأنّ الظّلم هو التّصرّف في ملك الغير بغير إذنه، أو وضع الشّيء في غير موضعه، أو هو مخالفة أمر ونهي من له الأمر والنّهي، ولا ءامر للّه ولا ناهي له فهو يتصرّف في ملكه كما يشاء، لا يجب عليه شيء وهو خالق كلّ شيء ومالكه على الحقيقة، فالعباد أنفسهم وما يملكون ملك له سبحانه يفعل عزّ وجلّ في ملكه ما يريد ولا يكون ذلك جورًا ولا خلافًا للحكمة.

وكذا لو أثاب اللّه المطيع الّذي منّ عليه بتوفيقه للطّاعة فبفضله الخالص يثيبه من غير وجوب عليه كما روى البخاريّ في صحيحه: «**لن يدخل أحدكم الجنّة بعمله، قيل ولا أنت يا رسول اللّه قال ولا أنا إلّا أن يتغمّدني اللّه برحمته**» اهـ

وجاء في الحديث الصّحيح الّذي رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام أبو داود في سننه وابن حبّان: «**أنّ اللّه لو عذّب أهل أرضه وسماواته لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم**» الحديث.

صفات الله كلها كاملة

صفات الله أزليّة أبديّة لأنّ الذّات أزليّ فلا تحصل له صفة لم تكن في الأزل، أمّا صفات الخلق فهي حادثة تقبل التّطوّر من كمال إلى أكمل، فلا يتجدّد على علم الله تعالى شيء. والله تعالى خلق كلّ شيء بعلمه الأزليّ وقدرته الأزليّة ومشيئته الأزليّة. فالماضي والحاضر والمستقبل بالنّسبة لله أحاط به بعلمه الأزليّ.

قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾[1] معناه أنّ الله تعالى له الأسماء التي تدلّ على الكمال، فالله لا يوصف إلا بصفة كمال، فما كان من الأسماء لا يدّلّ على الكمال لا يجوز أن يكون من أسمائه تعالى كما يسمّيه بعض النّاس «ءاه»[2]، وبعضهم سمّاه «روحا».

وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[3] أي ولله صفات الكمال التي لا تشبه صفة غيره فيستحيل في حقّه تعالى أيّ نقص.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٠

(٢) كثير من المنتسبين إلى الشاذليّة اليوم يعتقدون بل يذكرون في كتبهم أنّ من أسماء الله ءاه مع أنّ ءاه لفظ للشكاية والتوجّع باتفاق اللغويين، ونصّ أهل المذاهب الأربعة أنّ الأنين يبطل الصلاة، ومعلوم أنّ ذكر الله لا يبطل الصّلاة، فلو كان ءاه من أسماء الله لما أبطل الصّلاة. وجاء في الحديث الذي رواه الترمذيّ أنّ رسول الله ﷺ قال «**إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه وإذا قال ءاه ءاه فإنّ الشّيطان يضحك من جوفه**» أي يدخل إلى فمه ويسخر منه. وهؤلاء الذين قالوا ءاه اسم من أسماء الله يعتمدون على حديث موضوع ولفظه دعوه يئنّ فإنّ الأنين اسم من أسماء الله ولم يرد في حديث صحيح ولا موضوع أنّ ءاه اسم من أسماء الله.

(٣) سورة النحل، الآية ٦٠.

وإذا تقرّر أنّ كلّ صفة من صفات اللّه كاملة، وكلّ اسم من أسمائه دالّ على الكمال، وأنّ صفات ذاته أزليّة أبديّة، تبيّن حكم إضافة الوجه واليد والعين والرّضا والغضب إلى اللّه تعالى وأنه لا يجوز حملها على الظواهر التي توهم نقصًا.

ولذلك قال العلماء نؤمن بإثبات ما ورد في القرءان والحديث الصّحيح كالوجه واليد والعين والرّضا والغضب وغيره على أنّها صفات يعلمها الله لا على أنّها جوارح وانفعالات كأيدينا ووجوهنا وعيوننا وغضبنا فإنّ الجوارح مستحيلة على الله لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[2].

قالوا لو كان لله عين بمعنى الجارحة والجسم لكان له أمثال فضلا عن مثل واحد ولجاز عليه ما يجوز على المحدثات من الموت والفناء والتّغيّر والتّطور، ولكان ذلك خروجًا من مقتضى البرهان العقليّ على استحالة التّغيّر والتّحوّل من حال إلى حال على الله لأنّ الدّلائل العقليّة على حدوث العالم طروء صفات لم تكن عليه والتّحول من حال إلى حال.

فالعين تأتي بمعنى الحفظ كما في قوله تعالى ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[3]، وقوله ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾[4] أي على حفظي، واليد تأتي بمعنى القدرة وهي القوّة كما في قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ﴾[5]، وتأتي بمعنى العهد كما في قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[6] أي عهد الله فوق عهودهم أي ثبت عليهم عهد الله لأنّ معاهدتهم للرّسول تحت شجرة الرضوان في الحديبية

(١) سورة الشورى، الآية ١١.
(٢) سورة الإخلاص، الآية ٤.
(٣) سورة القمر، الآية ١٤.
(٤) سورة طه، الآية ٣٩.
(٥) سورة الذاريات، الآية ٤٧.
(٦) سورة الفتح، الآية ١٠.

على أن لا يفرّوا معاهدة لله تبارك وتعالى لأنّ الله تعالى هو الذي أمر نبيّه بهذه المبايعة.

وأما قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1] فمعناه غنيّ واسع الكرم.

والله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى كما نطق به القرءان بقوله تعالى في حقّ المؤمنين ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾[2]، وفي حقّ الكفّار ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾[3].

والغضب بالنّسبة للخلق تغيّر يحصل عند غليان الدّم في القلب بإرادة إيصال الضّرر إلى المغضوب عليه. وأما الغضب إذا وصف الله به فيكون بمعنى إرادة الانتقام، وإرادة الانتقام أزليّة. والرّضا إذا وصف الله تعالى به فهو عبارة عن إرادة إنعامه على عباده أو عن نفس إنعامه عليهم وهذا هو معنى الرّحمة أيضًا، وليست رحمته رقّة القلب.

وأما ما ورد في حديث الشّفاعة الذي رواه مسلم من أنّ ءادم وغيره يقولون يوم القيامة: «إنّ الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب بعده مثله» فهذا يقصد به أثر الغضب ليس الغضب الذي هو صفة ذاتيّة لله.

ومن الإلحاد في صفات الله وأسمائه أن يقال إنّ الله جالس لا كجلوسنا أو إنّ الله جسم لا كالأجسام فإنّ الجلوس لا يكون إلا من ذي نصفين أعلى وأسفل ومقعدة يلاقي بها الجالس ما يجلس عليه فإذا قال القائل إنّ الله جالس فقد نسب إليه صفات النّقص هذه وأثبتها له إذ لا تحتمل عبارته غير هذا، فلا ينفعه قوله لا كجلوسنا بعد ذلك، وصار حاله كحال القائل إنّ الله نائم لا كنومنا، أو عاجز لا كعجزنا، فإنّ عبارة لا كنومنا، وعبارة لا كعجزنا،

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٩.

(٣) سورة الفتح، الآية ٦.

لا تنفعان شيئًا في نفي الكفر عمّن ينسب النوم والعجز إلى الربّ جلّ وعزّ، وكذلك عبارة لا كجلوسنا لا تفيد شيئًا في نفي الضلال عمّن ينسب الجلوس إلى الله تعالى.

ولا يخفى أنّه لم يرد في الشرع إطلاق الجلوس على الله. ولا يجوز وصف الله ولا تسميته بما لم يرد به القرءان، أو لم يثبت في السنّة، أو لم تجمع عليه الأمة. قال الإمام الأشعريّ «لا يجوز تسمية الله إلا بما ورد في الكتاب والسّنة الصحيحة أو الإجماع»، ومثله قال الإمام أبو منصور البغداديّ: «لا مجال للقياس في أسماء الله وإنّما يراعى فيها الشرع والتوقيف».

فلا يجوز تسمية الله ناسيًا وماكرًا ومستهزئًا ويكفر من فعل ذلك لأنه استخفّ بالله، أما إذا قيل على وجه المقابلة فليس فيه تنقيص كما في قوله تعالى ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾[1]، ففي هذه الآية أسند الله إلى نفسه المكر، ومكر الله ليس كمكر العباد، مكر الإنسان أن يحاول إيصال الضّرر إلى إنسان بطريقة خفيّة يحتاج فيها إلى استعمال بعض الحيل، أما مكر الله فليس هكذا، مكر الله هو إيصال الضّرر إلى من يشاء من عباده من حيث لا يعلم ذلك العبد ولا يظنّ ولا يحسب أن الضّرر يأتيه من هنا.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ نزلت في المنافقين لأنّهم كانوا لمّا يجتمعون بأمثالهم يتكلّمون ببغض الإسلام وكراهيته، اللّه أخبرنا أنّه يجازيهم بما يليق بهم وهذه المجازاة سمّاها اللّه استهزاء.

ولا يجوز أن يؤخذ من قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ﴾ جواز تسمية الله بالمستحي أو المستحيِي، بل معنى الآية أنّ الله لا يحبّ ترك إظهار الحقّ فلا يتركه للاستحياء كما يفعل الخلق وهذا مستحيل على الله.

(١) سورة ءال عمران، الآية ٥٤.

فينبغي على المؤمن أن يلزم ما ورد في الشّرع في حقّ اللّه تعالى ولا يجاوز ذلك، يعرف ما يجب للّه كوجوب القِدم له، وينزّهه عمّا يستحيل عليه تعالى كاستحالة الشّريك له، ويعرف ما يجوز في حقّه تعالى كخلق شيء وتركه، وبهذا يتمّ للعبد معرفة ربّه على ما يليق، إذ معرفتنا باللّه ليست على سبيل الإحاطة بحقيقته، إذ لا يعرف اللّه على الحقيقة إلّا اللّه.

قال الإمام أحمد بن عليّ الرّفاعيّ رضي اللّه عنه: «غاية المعرفة باللّه الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان». معناه أقصى ما يصل إليه العبد من المعرفة باللّه أن يؤمن ويعتقد اعتقادًا جازمًا لا شكّ فيه أنّ اللّه موجود من غير اتّصاف بصفة من صفات المخلوقين، ومن غير أن يكون اللّه تعالى في مكان، ومن غير أن يكون اللّه تعالى حجمًا له طول وعرض وعمق إذ المكان هو الحيّز الّذي يشغله الحجم من الفراغ، فمن أيقن بأنّ اللّه تعالى موجود بلا كيف ولا مكان فقد وصل إلى غاية ما يبلغه الإنسان من معرفة اللّه سبحانه.

روي عن سيدنا أبي بكر الصّديق رضي الله عنه أنّه قال:

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن ذاته كفر وإشراك

معناه أنّ الإنسان إذا عرف اللّه تعالى بأنّه موجود لا كالموجودات، وذات لا كالذّوات، متّصف بصفات لائقات به ليست تشبه صفات خلقه، واعتقد أنّه لا يمكن تصويره في النّفس، واقتصر على هذا ولم يبحث عن ذات اللّه للوصول إلى حقيقته، ولم يتخيّله بخياله شيئًا كالإنسان أو ككتلة نورانيّة أو حجمًا فوق العرش أو نحو ذلك فهذا يقال عنه عرف اللّه وأدرك حقيقة الإيمان به وسلم من التّشبيه.

فلا يجوز أن يتفكّر العباد في حقيقة اللّه تعالى لأنّ اللّه تعالى لا يدركه الوهم والتّصوّر كما روى الدّارقطنيّ والبغويّ في تفسيره عن أُبَيّ بن كعب رضي اللّه عنه مرفوعًا في تفسير قوله تعالى في سورة النّجم ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قال لا فكرة في الرّبّ اهـ

وقال الإمام ذو النّون المصريّ ثوبان بن إبراهيم: «مهما تصوّرت ببالك فاللّه لا يشبه ذلك» وهي قاعدة قاطعة ثابتة مجمع عليها عند أهل الحقّ ذكرها الإمام الشّافعيّ رضي اللّه عنه والإمام أحمد بن حنبل رضي اللّه عنه وغيرهما وهي مأخوذة من قوله تعالى في سورة الشّورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

فصل في الإيمان بالأنبياء
عليهم الصلاة والسلام

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَرْسَـلَ أَنْبِيَـا ذَوِيْ فَطَانَـهْ بِالصِّـدْقِ والتَـبْلِيغِ والأَمَانَه

يعني أنّ من جملة ما يجب الإيمان به الإيمان بالأنبياء. الله تعالى بعث الأنبياء رحمة للعباد، إذ ليس في العقل ما يستغنى به عنهم، لأنّ العقل لا يستقلّ بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة.

والنّبوّة خاصّة بالذّكور من البشر فلا نبوّة في النساء قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾[1] فهذه الآية فيها دليل اختصاص الرّسالة بالذّكور وهم من الإنس فقط.

والنبيّ والرّسول يشتركان في الوحي والتبليغ، فكلّ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للنّاس غير أنّ الرسول يأتي بنسخ بعض شرع من قبله أو بشرع جديد. والنّبيّ غير الرّسول يوحى إليه ليتّبع شرع رسول قبله وليبلّغه. هذا الفرق بين النّبيّ والرسول، وأما ما ذكره بعضهم في مؤلفاته من أنّ النبيّ من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فهو فاسد بعيد من معنى النّبوة فليحذر[2].

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٢) وقال الشيخ أحمد الغماريّ ما نصه: «الفرق بين النبيّ والرسول دقيق وقد خفي على كثير من الناس، والمشهور في كتب المتكلمين في الفرق بينهما أن الرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبيّ إنسان أوحي إليه بشرع فلم يؤمر بتبليغه، وهذا كلام جاهل بالسنة والأخبار بل وبصريح القرآن، فإن قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ =

قوله (ذَوِيْ فَطَانَـةْ) أي إنّ مما يجب للأنبياء الفطانة أي الذّكاء فكلّهم كانوا أذكياء فطناء أصحاب عقول كاملة قويّة الفهم. ويستحيل على الأنبياء البلادة والغباوة، فليس فيهم بليد أي من هو ضعيف الفهم لا يفهم الكلام بسرعة إلا بعد أن يكرّر عليه عدّة مرّات، ولا من هو ضعيف عن إقامة الحجّة لمن يعارضه بالبيان، وليس فيهم من هو غبيّ أي فهمه ضعيف لأنّهم لو كانوا أغبياء لنفر النّاس منهم لغباوتهم، والله حكيم لا يفعل ذلك، فإنّهم أرسلوا ليبلّغوا الناس مصالح ءاخرتهم ودنياهم، والبلادة تنافي هذا المطلوب منهم.

قوله (بِالصِّدْقِ) أي يجب للأنبياء الصّدق ويستحيل عليهم الكذب لأنّ ذلك نقص ينافي منصب النبوّة. قال الله تعالى ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾[1]. وصفة الصّدق ملازمة للنّبوة، فلا يمكن لأيّ نبيّ أن يصدر منه ما يخلّ بالمروءة كالكذب والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها من الصفات القبيحة، لأنّ هذه الصفات لا تليق برجل عاديّ، فكيف بنبيّ مقرّب أو رسول مكرّم، ولو جاز وقوع الكذب من الأنبياء لما كانت هناك ثقة فيما ينقلونه من أخبار الوحي أو يروونه عن الله عزّ وجلّ.

وكان سيدنا محمّد ﷺ معروفًا بين أهل مكّة بالصادق الأمين لما عرف به من الصّدق والأمانة والنزاهة ولم تجرّب عليه كذبة قطّ كلّ المدة التي قضاها قبل أن ينزل عليه الوحي، فالكذب نقص ينافي منصب النبوّة. وأما

= صريح في إرسالهما حقّا، وكذلك قول النبيّ ﷺ: «**وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»، والأخبار والأحاديث التي فيها: «فأوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه أن قل لفلان العابد أو للملك الفلانيّ أو للقرية الفلانية» لا تكاد تنحصر، وهذا هو الإرسال، والذي عندنا أن الرسول يفارق النبيّ في ثلاثة أمور». ثم قال: «الثالثة: أن الرسول يبعث بشريعة مستقلة والنبيّ يبعث بتقرير شريعة من قبله»اهـ جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار، الغماريّ، (ص ٤٠ ، ٤١).

(١) سورة يس، الآية ٥٢.

حديث «كذب إبراهيم ثلاث كذبات» فقد اعترض عليه بعض العلماء[1] وأوّله بعضهم.

قوله (وَالتَّبْلِيْغِ) يعني أن ممّا يجب للأنبياء التّبليغ، فكلّ الأنبياء مأمورون بالتّبليغ دلّ على ذلك قوله تعالى في سورة الحجّ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[2] .

فمعنى تمنّى في هذه الآية قرأ وتلا، ومعنى ألقى الشّيطان في أمنيّته أي يزيد الشيطان على ما قالوه ما لم يقولوه ليوهموا غيرهم أن الأنبياء قالوا ذلك الكلام الفاسد، وليس معناه أن الشيطان يتكلّم على لسان النبي.

وإيضاح هذه القضية أن الرسول ﷺ كان يقرأ ذات يوم سورة النجم فلمّا بلغ ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ ﴾[3] انتهز الشيطان وقفة رسول الله وسكتته فأسمع الشيطان المشركين الذين كانوا بقرب النبي موهمًا لهم أنه صوت النبي هذه الجملة «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ففرح المشركون وقالوا ما ذكر محمد ءالهتنا قبل اليوم بخير فأنزل الله لتكذيبهم هذه الآية التي في سورة الحج ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴾ فقوله تعالى ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي يبيّن الله أن هذا ليس من الأنبياء، وذلك ابتلاء من الله وامتحان ليتميّز من يتّبع ما يقوله الشيطان ومن لا يتّبع فيهلك هذا ويسعد هذا.

وكما يستحيل على الأنبياء الكذب يستحيل عليهم سبق اللّسان في

---

(١) قال الرازيّ في عصمة الأنبياء «فإن قلت روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال «ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة إنّها أختي» قلت هذا من أخبار الآحاد فلا يعارض الدليل القطعي الذي ذكرناه ثم إن صح حمل على ما يكون ظاهره الكذب» اهـ.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٢.

(٣) سورة النجم، الآية ٢٠.

الشّرعيّات والعاديات لأنّه لو جاز عليهم لارتفعت الثّقة في صحّة ما يقولونه ولقال قائل عندما يبلغه كلام عن النّبيّ ما يدرينا أن يكون قاله على وجه سبق اللّسان، لذلك لا يصدر من نبيّ كلام غير الّذي يريد قوله ولا يصدّر منه كلام وهو لا يريد الكلام بالمرّة كما يحصل لمن يتكلّم وهو نائم.

قوله (وَالأَمَانَهْ) معناه يجب للأنبياء الأمانة، فالنبيّ أمين على الوحي، يبلّغ أوامر الله ونواهيه إلى عباده، دون زيادة أو نقصان، ودون تحريف أو تبديل، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1].

فيستحيل على الأنبياء الخيانة في الأقوال والأفعال والأحوال، فلو استنصحهم شخص لا يكذبون عليه فيوهمونه خلاف الحقيقة، وإذا وضع عندهم شخص شيئًا لا يضيّعونه بل جميعهم أمناء أوفياء.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ مِنْ عَرَضِ بِغَيْرِ نَقْصٍ كَخَفِيفِ الْمَرَضِ

يعني أنّ مما يجوز في حقّ الأنبياء ما كان من أعراض البشر كالجوع والعطش والتّعب والمرض الذي لا ينّفر. أما الأمراض المنفّرة كخروج الدود من الجسم فتستحيل على الأنبياء[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٩.

(٢) ونقل النووي في شرح صحيح مسلم كلام القاضي عياض وغيره: «أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم منزّهون عن النّقائص في الخَلقِ والخُلُقِ سالمون من العاهات والمعايب قالوا ولا التفات إلى ما قاله من لا تحقيق له من أهل التّاريخ في إضافة بعض العاهات إلى بعضهم بل نزّههم اللّه تعالى من كلّ عيب وكل شئ يبغّض العيون أو ينفّر القلوب» شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ١٢٧).

ومما يستحيل على الأنبياء الجبن، كالهرب من المعركة والخوف من مواجهة الأعداء، فالأنبياء هم أشجع خلق الله، قال بعض الصّحابة: «كنّا إذا حمي الوطيس في المعركة نحتمي برسول الله ﷺ».

أما الخوف الطبيعيّ فلا يستحيل عليهم، بل الخوف الطبيعيّ موجود فيهم وذلك مثل النفور من الحيّة، فإنّ طبيعة الإنسان تقتضي النفور من الحيّة وما أشبه ذلك. ولا يقال عن النّبي ﷺ هرب لأنّ هرب يشعر بالجبن، أما فرّ من الأذى مثلا فلا يشعر بالجبن، يقال هاجر فرارًا من الكفّار أي من أذى الكفّار، هذا جائز ما فيه نقص، وعلى هذا المعنى قول الله تعالى إخبارًا عن موسى أنّه قال ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[1].

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عِصْمَتُهُمْ كَسَائِرِ المَلائِكَهْ وَاجِبَةٌ وَفَاضَلُوا المَلائِكَهْ

يعني أنّ مما يجب للأنبياء العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسّة قبل النبوّة وبعدها. فالأنبياء جميعهم معصومون أي محفوظون من الكفر قبل أن يوحى إليهم بالنّبوة وبعد ذلك أيضا.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون أيضا من الوقوع في المعاصي الكبيرة وكذلك عصمهم الله من التّلبّس بالذنوب الصغيرة التي فيها خسّة ودناءة كسرقة حبّة عنب فإنّ هذه صغيرة لكنها تدّل على دناءة نفس.

ويجوز على الأنبياء ما سوى ذلك من المعاصي لكن ينبّهون فورا للتوبة قبل أن يقتدي بهم فيها غيرهم.

فالصّغائر التي ليس فيها خسة ودناءة تجوز على الأنبياء، ويدل على جواز

(١) سورة الشورى، الآية ٢١.

حصول ذلك منهم ءايات منها قوله تعالى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1]، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السّلام أنّه قال ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[2].

ولكن الأنبياء إن حصل منهم شيء من المعاصي الصغيرة التي ليس فيها خسة ولا دناءة ينبّهون فورا للتوبة فيتوبون قبل أن يقتدي بهم في تلك الصّغيرة غيرهم فيفعل مثلما فعلوا لأنهم قدوة للنّاس[3].

ومعنى قول النّاظم (عِصْمَتُهُمْ كسائرِ المَلائِكَهْ وَاجِبَةٌ) يعني أنّ الأنبياء من حيث العصمة من الكفر والكبائر شابهوا الملائكة، فليس في الملائكة من يكفر أو يعصي اللّه تعالى بل الملائكة عباد للّه لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون كما جاء في القران ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[4].

وأما قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ

---

(١) سورة طه، الآية ١٢١.

(٢) سورة الشورى، الآية ٨٢.

(٣) فالقول السديد في حقهم من حيث العصمة أن يقال إنهم معصومون من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها كما قال التفتازانيّ والأشعريّ رضى الله عنهما، وأما الصغائر غير ذات الخسّة فتجوز منهم عند الجمهور خلافا لبعض كالقاضى عياض والنووىّ ممّن خالف الإمام الأشعريّ وقالوا إنهم معصومون من الصغائر والكبائر على الإطلاق. قال الشيخ ابن التّلمسانيّ فى شرح لمع الأدلة ما نصّه لا يجوز عليهم الكبيرة ألبتة ويجوز تعمد الصغيرة بشرط عدم الإصرار، ولا يجوز منهم صغيرة تدلّ على خساسة النفس ودناءة الهمة كتطفيف حبة وسرقة باقة بقل اهـ ثم قال وأما عصمتهم عن الكبائر والإصرار على الصغائر وعن كل صغيرة تؤذن بقلة الاكتراث بالديانات فمستند إلى الإجماع القاطع فإنّ السلف رضى الله عنهم لم يزالوا يحتجون بالنبىّ بأفعاله وأقواله ويتبادرون إلى التأسّى به اهـ

(٤) سورة التحريم، الآية ٦.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

فمعنى الآية أنّ الملكين هاروت وماروت نزلا ليظهرا للنّاس الفرق بين السحر المطلوب تجنّبه، وبين المعجزة التي هي دليل نبوّة الأنبياء عليهم السلام، فكانا يعلّمان تعليم إنذار لا تعليم تشجيع له، كأنّهما يقولان: لا تفعل كذا، كما لو سأل سائل عن صفة الزنا أو القتل فأخبر بصفته ليجتنبه، أو يقولان: فلا تكفر، أي فلا تتعلّم السحر معتقدا أنّه حقّ فتكفر.

وكانا لا يعلّمان أحدا حتى ينصحاه بأنهما جعلا ابتلاء واختبارا، وبيّن الله في القرءان أن الملكين أقصى ما يعلّمانه هو كيف يفرّق بين الرجل وزوجته، وأنّ ضرر ذلك لا يكون إلا بمشيئة الله، لأنّ الله تعالى هو الذي يخلق النفع والضرر، ثم أثبت تعالى أنّ من يتعلّم السحر ويرتكبه فهو ضرر عليه ويعود عليه بالوبال. وهاروت وماروت ملكان كريمان من ملائكة الله الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فلا صحّة أبدا للقصّة التي تقول إنّ هاروت وماروت ملكان التقيا بامرأة جميلة ففعلا معها الفاحشة، فهذا الكلام فيه تكذيب للقرءان الكريم. فليحذر من مثل هذه القصص المكذوبة المفتراة على دين الله وأنبيائه وملائكته.

ومعنى قول الناظم (وَفَاضَلُوا الـمَلائِكَهْ) أي ويجب اعتقاد أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة عند الله والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾. فأفضل خلق الله هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء الرّسل، وأفضلهم الخمسة أولو العزم: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح صلى الله عليهم أجمعين، وأما أفضل الأنبياء على الإطلاق فهو سيدنا محمد ﷺ. ويلي الأنبياء في الفضل رؤساء الملائكة أي رسلهم

وخواصهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالـمُسْتَحِيلُ ضِـدُّ كُلِّ وَاجِـبِ فَاحْفَـظْ لِخَمْسِـينَ بِحُكْـمٍ وَاجِـبِ

لمّا ذكر الناظم في الأبيات المتقدمة ما يجب لله تعالى وما يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بيّن في هذا البيت أنّ المستحيل ضدّ الواجب، فما وجب في حقّ الله سبحانه وتعالى استحال عليه ضدّه، وكذا ما وجب للأنبياء استحال عليهم ضدّه. فيجب لله القدرة ويستحيل عليه العجز، ويجب له العلم التام فيستحيل عليه الجهل وكل ذلك قد تقدم ذكره. والأنبياء يجب لهم الصدق والأمانة والفطانة والشجاعة، فيستحيل عليهم الكذب والخيانة والغباوة والجبن.

وبناء على ما تقدم تكون جملة الصفات التي أوردها الناظم مما يجب اعتقاده لله تعالى وللأنبياء، وكذا جملة ما يستحيل في حقّ الله تعالى وفي حقّ أنبيائه يصل عدده إلى خمسين، فقول الناظم **(فَاحْفَظْ لِخَمْسِينَ)** أي احفظ هذه العقائد البالغ عددها خمسين، ولا يراد وجوب حفظ ألفاظها فقط، بل الواجب معرفتها واعتقاد معناها.

فصل في ذكر بعض الأنبياء
عليهم الصّلاة والسّلام

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَفْصِيْلُ خَمْسَةٍ وَعِشْـرِيْنَ لَزِمْ كُلَّ مُكَلَّـفٍ فَحَقِّـقْ وَاغْتَنِـمْ

بعد أن ذكر المصنّف وجوب الإيمان بالأنبياء، وما يجب لهم وما يستحيل عليهم، شرع في تفصيل أسماء الأنبياء الّذين ذكروا في القرءان. وهؤلاء الأنبياء الإيمان بهم واجب من حيث الجملة، وأمّا تفصيل أخبار الأنبياء وحفظ أسمائهم فلا يجب على كلّ مكلّف بعينه بل معرفة ذلك هو من فروض الكفاية على خلاف ما توهمه ظاهر عبارة المصنّف واللّه أعلم بمراده في ذلك. ومعنى قوله (فَحَقِّقْ وَاغْتَنِمْ) أي خذ من سيرهم صلوات اللّه عليهم منافع كثيرة.

وروي بيان عدد الأنبياء في بعض الأحاديث، كحديث ابن حبّان عن أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول اللّه كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفًا. قلت: يا رسول اللّه كم الرّسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّ غفير» اهـ وهو حديث صحيح عند ابن حبّان لكن تكلّم بإسناده بعض أهل الحديث، ولذا كان الأولى أن لا يقتصر على عدد في التّسمية فقد قال اللّه تعالى ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1] ولا يُؤْمَنُ في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج منهم من هو منهم.

وكتب التّفسير والسير حافلة بذكر قصص الأنبياء وما ورد من أخبارهم،

(١) سورة غافر، الآية ٧٨.

لكن قد خلط فيها السّمّ بالدّسم، ولم يفرّق بين الصّحيح الثّابت والباطل الضّعيف، مع ما انضاف إلى ذلك من الإسرائيليّات والافتراءات والدّسائس الّتي زرعت في طيّات القصص وحشيت بها بطون الكتب، وذاعت بين كثير من أدعياء المشيخة الّذين يتصدّرون للتّدريس والتّأليف، ولذا سنقصر الكلام هنا على بعض أهمّ الأمور الّتي ينبغي التّنبّه لها عند الكلام عن سير هؤلاء الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام لا سيّما التّحذير من القصص المفتراة المكذوبة على بعضهم لئلّا يغترّ وينخدع بها العوامّ فيهلكوا ويضلّوا.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

هُـمْ ءَادَمٌ إِدْرِيْسُ نُوْحٌ هُوْدُ مَعْ صَـالِـحْ وَإِبْـرَاهِـيـمُ كُلٌّ مُتَّبَعْ

بدأ النّاظم بذكر أوّل الأنبياء بل وأوّل البشر ءادم عليه الصّلاة والسّلام، وكان ءادم كسائر الأنبياء جميل الشّكل حسن الوجه والصّوت. قال رسول اللّه ﷺ: «**ما بَعَثَ الله نبيًّا إلا حسنَ الوجهِ حسنَ الصَّوتِ وإن نبيَّكم أحسنُهُم وجهًا وأحسنُهُم صوتًا**» رواه التّرمذيّ.

وأمّا الّذي يقول إنّ ءادم عليه السّلام كان متوحّشًا قصير القامة شبيهًا بالقرد فهو كافر، وكذلك من قال إنّه كان يمشي في الأرض عريانا كالبهائم لأنّ في ذلك تكذيبًا للقرءان، قال تعالى في سورة التّين ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ أي في أحسن صورة وقال الرّسول ﷺ: «**إنّ ءادم كان طوله ستّين ذراعا وعرضه سبعة وافر الشّعر**» رواه ابن حبّان.

فقول بعض الملحدين في العصور الأخيرة إنّ أوّل البشر كان على صورة القرد تكذيب للقرءان الكريم والحديث الصحيح.

وأنكر بعض النّاس نبوّة ءادم عليه السّلام وهذا كفر مخالف للدّين، فكما أنّ من أنكر نبوّة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد يكفر، كذلك يكفر من أنكر نبوّة ءادم. ونقل إجماع المسلمين على نبوّة ءادم الإمام أبو منصور التّميميّ

البغداديّ في موضعين من كتابه أصول الدّين[١]. وفي الحديث الذي أخرجه الترمذيّ في سننه وحسّنه: «وما من نبي يومئذ ءادم فمن سواه إلا تحت لوائي»[٢].

وروى ابن حبّان في صحيحه وابن كثير والحافظ ابن حجر عن أبي ذرّ: قلت يا رسول اللّه من كان أوّلهم -يعني الأنبياء-؟ قال: ءادم قلت: يا رسول اللّه نبيّ مرسل؟ قال: نعم اهـ

وأما (إِدْرِيْسُ) فهو أحد الأنبياء والرّسل الكرام الذين ذكرهم الله في القرءان قال الله جلّ جلاله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾[٣].

وقال النّبيّ عن إدريس عليه السّلام: «إنّه أوّل من خطّ بالقلم»اهـ أي بعد ءادم، رواه ابن حبّان. وإدريس عليه السّلام هو أيضًا أوّل من مدّن المدائن. أمر بالطّاعة ونهى عن المعصية واشتهر بحكمه الكثيرة وأنزل اللّه عليه كتابًا. مات ودفن في الأرض. وما يذكر من أنّه رفع إلى السّماء الرّابعة فهو غير ثابت، وقوله تعالى في سياق الكلام عن إدريس: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾[٤] المراد به علوّ القدر والمكانة كما ذكر أبو حيان في البحر وغيره.

قوله (نُوْحٌ) هو نبيّ رسول، فبعد وفاة سيّدنا إدريس عليه السّلام كان أوّل

---

(١) قال أبو منصور البغدادي: «أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين على أنّ عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما وردت به الأخبار الصحيحة أوّلهم أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم »اهـ. وقال في موضع آخر: «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أنّ أوّل من أرسل من النّاس آدم عليه السلام » اهـ أصول الدين، البغداديّ، (ص ١٥٩ ، ١٧٥).

(٢) قال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر ما نصه: «والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلّهم أي جميعهم الشامل لرسلهم ومشاهيرهم وغيرهم أولهم آدم عليه الصلاة والسلام على ما ثبت بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة، فما نقل عن بعض من إنكار نبوّته يكون كفرًا» شرح الفقه الأكبر، ملا علي القاري، (ص ٥٦).

(٣) سورة مريم، الآية ٥٦.

(٤) سورة مريم، الآية ٥٧.

حدوث الشّرك بين النّاس، واستمرّوا على هذا زمانًا إلى أن بعث اللّه نوحًا عليه السّلام يدعوهم إلى الإسلام، فبين إدريس ونوح عليهما السّلام ألف سنة، وتلك الفترة تسمّى الجاهليّة الأولى، وعلى هذا يكون نوح عليه السّلام هو أوّل نبيّ أرسل إلى الكفّار يدعوهم إلى الإسلام، وقبل هذه الفترة كان النّاس كلّهم على الإسلام.

قال اللّه تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي كلّهم على الإسلام، ثمّ اختلف البشر بقي بعضهم على الإسلام وكفر بعض فدّان بغير الإسلام، فلمّا اختلفوا بعث اللّه النّبيّين ليبشروا من أسلم بالجنّة وينذروا من كفر بالعذاب في الآخرة. قال ابن عبّاس رضي اللّه عنهما في هذه الآية ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي كلهم على الإسلام فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1].

ولا معنى لإنكار البعض رسالة ءادم وادّعائهم أن أوّل الأنبياء هو نوح عليه السّلام، ولا حجّة لهم في حديث الشّفاعة الّذي فيه أنّ النّاس يأتون ءادم ليشفع لهم ثمّ نوحًا فيقولون لنوح أنت أوّل الرّسل اشفع لنا إلى ربّك، رواه البخاريّ وغيره، لأنّ معناه أنت أوّل الرّسل إلى قومك المنتشرين في الأرض، أو يكون معناه أنت أوّل الرّسل إلى قوم كفّار إذ النّاس قبل قوم نوح عليه السّلام كانوا على الإسلام يعبدون اللّه تعالى لا يشركون به شيئًا، ولا يعرفون أوثانًا أو أصنامًا، كانوا مسلمين مؤمنين مقرّين بوحدانيّة اللّه عزّ وجلّ، وإنّما ظهر الكفر والشّرك بعد موت نبيّ اللّه إدريس.

فنوح عليه الصّلاة والسّلام هو أوّل الرّسل إلى أهل الأرض أي بعد حدوث الكفر بين البشر، أو بعد انتشار النّاس في الأرض، وليس معناه أنّه لم يكن قبله نبيّ ولا رسول، بل كان ءادم نبيًّا رسولًا كما يشهد لنبوّته الحديث الّذي حسّنه التّرمذيّ: «أنا سيّد ولد ءادم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر،

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

وما من نبيّ يومئذ ءادم فمن سواه، إلّا تحت لوائي».

وأما (هُوْدُ) عليه الصّلاة والسّلام فهو نبي ذكره الله بقوله ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1]. وكان هود عربيًا كما جاء في حديث أبي ذرّ أنّ النّبيّ قال له: «أربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيّك محمّد».

وقحطت عاد قوم هود عليه السّلام مدّة حتّى جهدوا فأرسلوا وافدا يستسقي لهم وأخرج أحمد في المسند بإسناد حسن كما قال الحافظ ابن حجر قصّة وافد عاد بطولها وفيها أنّ الحارث بن حسّان البكريّ قال لرسول الله ﷺ: «**أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد**» وفيه دليل يبطل قول الوهابية أن الاستعاذة بغير الله شرك.

قوله (مَعْ صَالِح) أي من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام الوارد ذكرهم في القرءان صالح، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾[2].

بعث اللّه صالحًا في قبيلة ثمود فدعاهم إلى عبادة اللّه وحده فأصرّ قومه على عنادهم وتكبّرهم وعبادة الأوثان وطلبوا معجزة أن يخرج لهم من الصّخرة ناقة وولدها فدعا صالح ربّه فأعطاه اللّه ما طلبوا، ثمّ تآمروا على ذبح النّاقة الّتي أمرهم اللّه أنّ لا يمسّوها بسوء ومن بعدها أرادوا أن يقتلوا نبيّ اللّه صالحًا فأهلكهم اللّه بالصّيحة والرّجفة قال اللّه تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾[3]، فأصبحوا في ديارهم أجسادا موتى قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

(١) سورة هود، الآية ٥٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٧٧ – ٧٨.

ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ وكانت بيوتهم في ناحية الحجر ما بين الحجاز والأردن وما زالت معروفة إلى يومنا هذا.

وأضاف الله ناقة صالح إلى نفسه إضافة ملك وتشريف فقال ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾[1] لما كان لها من خصوصيّة على غيرها من النّوق بالشّأن العظيم الذي كان لها، لأنّه هو خالقها، هو الذي أخرجها من الصّخرة وأخرج معها فصيلها، وكانت تعطي أهل البلد كفايتهم من الحليب فيأخذون منها الحليب في يوم ورودها الماء الذي خصصت به فلا ترده مواشيهم.

قوله **(إِبْرَاهِيمُ)** يعني أنّ من الأنبياء الكرام الّذين ذكرهم اللّه في القرءان إبراهيم عليه السّلام. وكان إبراهيم كغيره من الأنبياء الكرام منذ صغره ونشأته مسلمًا مؤمنًا، عارفًا بربّه، منزّهًا له عن مشابهة المخلوقات، قال اللّه تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾[2] أيّ من قبل إيتائه النّبوّة ومنذ الصّغر كان إبراهيم عليه السّلام على الرّشد والهدى، فلم يعبد صنمًا ولا كوكبًا، ولكن ألهم التّوحيد والتّنزيه وعبادة اللّه الواحد الأحد، الّذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وكان قوم سيّدنا إبراهيم عليه السّلام يعبدون الكواكب من دون اللّه سبحانه، فأراد سيّدنا إبراهيم أن يبيّن لقومه أنّ عبادتهم لها فاسدة باطلة، وأنّها لا تصلح للعبادة أبدًا، لأنّها مخلوقة مسخّرة يطرأ عليها التّغيير، فتطلع تارة وتغيّب تارة أخرى، وما كان كذلك لا يكون إلها، لأنّه بحاجة إلى من يغيّره وهو اللّه تبارك وتعالى الدّائم الباقي الّذي لا يتغيّر ولا يزول ولا يفنى ولا يموت.

قال تعالى حكاية عن قصة إبراهيم مع قومه عبدة الكواكب: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾

(١) سورة الشمس، الآية ١٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٥١.

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

فقول سيّدنا إبراهيم عن الكوكب: هذا ربّي هو على تقدير الاستفهام الإنكاريّ، فكأنّه قال: أهذا ربّي كما تزعمون، لذلك لما غاب الكوكب قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ أي لا يصلح أن يكون هذا الكوكب ربًّا لأنّه يأفل ويتغيّر فكيف تعتقدون ذلك. وعندما لم يفهموا مقصوده وظلوا على ما كانوا عليه، قال حين رأى القمر مثل ذلك، فعندما لم يجد بغيته أظهر لهم أنّه بريء من عبادة القمر لأنّه لا يصلح للعبادة ولا يصلح للرّبوبيّة، ثمّ لمّا أشرقت الشّمس وظهرت قال لهم مثل ذلك، فعندما لم ير منهم بغيته أيضًا ووجد أنّهم أصحاب عقول سقيمة مستغلقة وقلوب مظلمة مستكبرة، أيس منهم وأظهر براءته من هذا الإشراك الّذي وقعوا به وهو عبادة غير اللّه تعالى.

فسيّدنا إبراهيم عليه السّلام لا يشكّ بوجود اللّه طرفة عين، وكان يعلم أنّ الرّبوبيّة لا تكون إلّا للّه، وأنّه لا خالق إلّا اللّه، ولا معبود بحقّ إلّا اللّه، ولم يكن كما يفتري عليه بعض أهل الجهل والضّلال أنّه مرّ بفترات وأوقات شكّ فيها بوجود اللّه، لأنّ الأنبياء والرّسل جميعهم يستحيل عليهم الكفر والضّلال قبل النّبوّة وبعدها، لأنّهم بعثوا هداة مهتدين ليعلّموا النّاس الخير من مصالح دينهم ودنياهم، فالحقّ أنّ إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام كان قبل مناظرته لقومه وإقامة الحجّة عليهم وقبل دعوتهم إلى الإسلام والإيمان يعلم علم يقين لا شكّ فيه أنّ له ربّا وهو اللّه تبارك وتعالى الّذي لا يشبه شيئًا وهو خالق كلّ شيء، والدّليل على ذلك من القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾[2].

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٥- ٧٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٣.

وفي القرءان العظيم الكثير من قصص إبراهيم الخليل عليه السّلام منها المجاهرة في الرّدّ على ضلال الطّاغية النّمرود، وقصّة إلقائه في النّار ونجاته منها، وقصّة ذبح ولده إسماعيل، وبناء الكعبة المشرّفة، وزيارة الملائكة له بالبشرى وغير ذلك.

وذكر إبراهيم في الصّلاة الإبراهيميّة الّتي نقرؤها في صلاتنا دون ذكر غيره من الأنبياء بيان لفضله ﷺ لأنّه أفضل البشر بعد نبيّنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

وقول النّاظم (**كُلُّ مُتَّبَعْ**) أي كلّ الأنبياء الّذين سبق ذكرهم متّبع من قبل مؤمني قومه في ما جاء به من العقيدة والأحكام، ويحتمل أن يكون المراد أنّ كلّ واحد منهم كان متّبعًا لما جاء به الأنبياء قبله من الدّين الحقّ دين الإسلام الّذي هو دين جميع الأنبياء كما قال ﷺ: «**الأنبياء إخوة من علاّت وأمّهاتهم شتّى ودينهم واحد**» اهـ متفق عليه.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لُـوْطٌ وَإِسْـمَاعِيْلُ إِسْـحَاقٌ كَـذَا يَـعْقُوْبُ يُوسُفٌ وَأَيُوْبُ احْتَذَى

نبيّ اللّه لوط عليه السّلام هو ابن أخي إبراهيم عليه السّلام، كان قومه يسكنون مدينة سدوم وما حولها وقيل إن عددهم كان نحو أربعمائة ألف. كان لوط عليه السّلام يأمر قومه بعبادة اللّه، وينهاهم عن الفاحشة الّتي كانوا يعملونها وهي اللّواط، لكنّهم كانوا لا يقبلون ولا يتراجعون بل يصرّون على فعل الفاحشة ويظهرونها حتّى سلّط اللّه عليهم جبريل عليه السّلام فحمل أرضهم وقراهم فرفعها ثمّ قلبها فجعل أعاليها أسافلها وأمطر اللّه عليهم حجارة من سجّيل ونجّى اللّه لوطًا وأهله إلّا امرأته. قال تعالى ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

(١) سورة الأعراف، الآية ٨٣.

وممّا ينبغي التّنبّه إليه هو أنّ اسم نبيّ اللّه تعالى لوط ليس مشتقًا ولا مأخوذًا من اسم الفعلة الشّنيعة اللّواط، لأنّ اللّه تعالى صان الأنبياء من المنفّرات ككون أساميهم مشتقّة ومأخوذة من الأسماء القبيحة الشّنيعة، وكون أخلاقهم من الأخلاق القبيحة، فمن نسب إليهم اسمًا شنيعًا قبيحًا فقد انتقصهم.

فلا يجوز أن يقال إنّ لوطًا مشتقّ من اللّواط، ويكفي في ردّ هذا الاشتقاق وإبطاله أنّه لا يوافق الاشتقاق المصطلح عليه عند اللّغويّين لأنّ الاشتقاق المصطلح عليه عندهم شرطه أن يكون المشتقّ والمشتق منه من لغة العرب. واللّواط لفظ عربيّ وهو مصدر لاط، وأمّا لوط فهو اسم أعجميّ، فكيف يدّعي مدّع أنّه مشتقّ من اللّواط، وكذلك عكسه وهو القول بأنّ اللّواط مأخوذ من لوط، فلفظ اللّواط كان قبل قوم لوط لأنّ اللّغة العربيّة لغة قديمة، حتّى قال بعض العلماء: إنّ أوّل لغة تكلّم بها ءادم هي العربيّة، ويشهد لذلك ما ورد في الصّحيح «أنّ ءادم عطس فقال الحمد للّه».

فلفظ اللّواط كان قبل ذلك، فأولاد ءادم ومن بعدهم يعرفون كلمة لاط بتصاريفها كما يعرفون كلمة الزّنى وتصاريفها، وكيف يكون هود وصالح اللّذان بعثا إلى العرب لغتهما ولغة من أرسلا إليه خالية عن هذه الكلمة. وقد ردّ هذه المقالة من أئمّة اللّغة الزّجاج، فلا يغترّ بأنّ هذه المقالة الشّنيعة مذكورة في بعض كتب اللّغة.

قوله (وَإِسْمَاعِيْلُ) أي وكذلك سيرة نبيّ اللّه إسماعيل بن إبراهيم خليل الرّحمن عليهما الصّلاة والسّلام مهمّ معرفتها، فهو ابن هاجر المصريّة الّتي وهبتها سارة لزوجها إبراهيم.

وإسماعيل هو جدّ نبيّنا محمّد ﷺ كما سبق بيانه في نسب النّبيّ محمّد ﷺ. أرسل اللّه تعالى إسماعيل عليه السّلام إلى القبائل العربيّة الّتي عاش في وسطها وإلى العماليق وأهل اليمن فدعاهم إلى الإسلام وعبادة اللّه وحده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾[1]، وهذا مما يدّل على أنّ دين الأنبياء كلّهم واحدّ هو الإسلام.

وأثنى الله على سيدنا إسماعيل ووصفه بالحلم والصّبر وصدق الوعد والمحافظة على الصّلاة والأمر بها لأهله ليقيهم العذاب، مع دعوته عليه السّلام إلى عبادة الخالق وحده وهو الله سبحانه وتعالى، قال الله تبارك وتعالى في حقّ نبيّه إسماعيل عليه السّلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

ولإسماعيل قصص عجيبة مع أبيه إبراهيم عليهما السّلام منها إطاعته أباه إذ أمره الله بذبحه لكنّه فدي بكبش من الجنّة، ولأجل عطش إسماعيل وأمّه أخرج اللّه ماء زمزم الّتي إلى يومنا بركاتها، وذكر أهل السّير أنّ إسماعيل هو أوّل من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحوشًا فآنسها وركبها، وكان إسماعيل عليه السّلام قد تكلّم بالعربيّة الفصيحة البليغة الّتي تعلّمها من قبيلة جرهم الّذين نزلوا بمكّة بسبب ماء زمزم الطّيّب المبارك.

قوله **(إِسْحَاقُ)** أي كذلك أمر إسحاق بن إبراهيم عليهما السّلام فهو نبيّ ابن نبيّ، وأمّه سارة الّتي ذكر اللّه بشارتها بحمل إسحاق بعد عقم وكبر في السّنّ قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[3]، وذكرت نبّوة إسحاق في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾[4].

قوله **(كَذَا يَعْقُوبُ)** أي كذا من الأنبياء يعقوب وهو إسرائيل بن إسحاق ابن إبراهيم، وهو والد نبيّ اللّه يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين. قال

---

(١) سورة النساء، الآية ١٦٣.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٥.

(٣) سورة هود، الآية ٧١.

(٤) سورة مريم، الآية ٤٩.

اللّه تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾[1] أي يعقوب، وكان له من الأولاد اثنا عشر ولدًا تفرّعت أسباط بني إسرائيل منهم.

قوله (يُوْسُفٌ) أي ومن أنبياء الله تعالى يوسف بن يعقوب عليه السّلام. أثنى الله عليه في القرءان ووصفه بالعفّة والنّزاهة والصبر والاستقامة قال تعالى: ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾. والنبيّ ﷺ أيضًا أثنى على سيّدنا يوسف عليه السّلام بقوله «إنّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» رواه البخاريّ.

ذكرت قصّة سيّدنا يوسف عليه السّلام في سورة يوسف مفصّلة، ولكن ينبغي لنا الوقوف عند الواقعة الّتي جرت بين يوسف عليه السّلام وامرأة عزيز مصر.

أهل السّنّة قاطبة يعتقدون أنّ اللّه تبارك وتعالى عصم نبيّه يوسف عليه السّلام ونزّهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، كما صان وعصم سائر أنبيائه ورسله عليهم الصّلاة والسّلام، وأجمع علماء الإسلام أنّه تجب للأنبياء الصّيانة فيستحيل عليهم الرّذائل والفواحش كالزّنا ومقدّماته، ولهذا قال اللّه تبارك وتعالى في حقّ يوسف عليه الصّلاة والسّلام نافيًا عنه السّوء والفحشاء ومطهّرًا إيّاه من قصد الفاحشة والهمّ بالزّنى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾[2].

أقام يوسف عليه السّلام في بيت عزيز مصر ووزيرها مكرمًا مأمونًا لكن امرأة العزيز أرادت منه الفاحشة فدعته لنفسها ولكن هيهات هيهات وهو النّبيّ العفيف الطّاهر المعصوم عن مثل تلك الرّذائل والسّفاهات والفواحش، لذلك امتنع أشدّ الامتناع ولم يتردّد لحظة في فعل الفاحشة ولم يتأثّر بما هيّأته من خلوة وزينة، بل مال عنها وقال ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ

(١) سورة ءال عمران، الآية ٩٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٤.

رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

وأمّا قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾[2] فأحسن ما قيل في تفسيره أن قوله تعالى ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مربوط بما بعده بـــ ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ فيكون على هذا التفسير ما همّ يوسف بالمرّة لأنّه رأى البرهان، أمّا لو لم ير البرهان لهمّ، والبرهان هو العصمة أي أنّه ألهم أن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الشيء وأنّه سيؤتى النّبوة فلم يهمّ.

وقال الفخر الرّازيّ معنى «ولقد همت به» أي همّت بأن تدفعه ليزني بها، وهمّ يوسف بدفعها ليخلص منها، وهذا التّفسير شبيه بما ذكر ءانفًا من تبرئة يوسف عن الزّنى وعن الهمّ به، فالأنبياء لا يقعون في الزّنى ولا يهمّون به.

فلا يصحّ ولا يجوز اعتقاد ما يروى في بعض الكتب أنّ يوسف عليه السّلام حلّ السّراويل وقعد منها مقعد الرّجل من امرأته، فإنّ هذا باطل وكفر إذ لا يليق بنبيّ من أنبياء اللّه تعالى أنّ يحصل منه ذلك، فلو كان حصل هذا من يوسف لكان فيه دليل على العزم على فعل الفاحشة، والأنبياء صلوات اللّه عليهم معصومون من العزم على الزّنا والفاحشة ومقدّماتها، قال اللّه سبحانه في بيان براءة نبيّه يوسف عليه السّلام ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[3].

قال الحافظ أبو الفَرَج عبد الرّحمن بن الجوزيّ: «ولا يصحّ ما يروى عن المفسّرين أنّه حلّ السّراويل وقعد منها مقعد الرّجل، فإنّه لو كان هذا دلّ على العزم والأنبياء معصومون من العزم على الزّنا» اهـ

وقال الفخر الرّازيّ في تفسيره: «أنّ يوسف عليه السّلام كان بريئًا عن العمل الباطل والهمّ المحرّم، وهذا قول المحقّقين من المفسّرين والمتكلّمين

(١) سورة يوسف، الآية ٢٣.
(٢) سورة يوسف، الآية ٢٤.
(٣) سورة يوسف، الآية ٥١.

وبه نقول وعنه نذبّ» اهـ

قول الناظم **(وَأَيُّوْبُ احْتَذَى)** أي أنّ نبيّ اللّه أيّوب عليه السّلام كان على طريقة الأنبياء من قبله بالدّعوة إلى اللّه، وذكر اللّه في القرءان نبوّة أيّوب عليه السّلام بقوله ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾[1].

وفي ذكر سيرة أيّوب الصّابر عليه الصّلاة والسّلام ينبغي الحذر أشدّ الحذر ممّا شاع وانتشر بين بعض النّاس من أنّ سيّدنا أيّوب عليه الصّلاة والسّلام خرج منه الدّود بيانًا لشدة مرضه وصبره بزعمهم، وهم يظنّون أنّهم بهذا الكلام يمدحون سيّدنا أيّوب، وهذا الكلام خرافة لا أصل لها ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾.

والثّابت عند أهل الحقّ أنّ سيّدنا أيّوب لم يكن مرضه منفّرًا، ولم يخرج منه الدّود إنّما مرض مرضًا ألزمه الفراش ولم يعقه عن تبليغ الدّعوة فصبر كما قال اللّه عنه: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾[2].

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

شُعَيْبُ هَارُوْنُ وَمُوْسَى وَاليَسَعْ ذُوْ الْكِفْلِ دَاوُدُ سُلَيْمَانُ اتَّبَعْ

من أنبياء الله تعالى أيضًا **(شُعَيْبُ)** وهو عربيّ بعثه الله إلى أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾[3]. لكن كثير من قومه أعرض عن دعوته ولم يؤمن فأهلكهم الله تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ

(١) سورة النساء، الآية ١٦٣.

(٢) سورة ص، الآية ٤٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٨٥.

فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾.

وأمّا قوله تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾[1] حكاية عن سيّدنا شعيب فليس فيه أنّ شعيبًا كان على دين قومه ثمّ ءامن وأسلم، لأنّ الأنبياء معصومون من الكفر قبل النّبوّة وبعدها، وإنّما المعنى أنّ اللّه أنقذنا من ملّتكم، أي حمانا اللّه من أنّ ندخل فيها ونعتقدها كما أنتم تعتقدونها، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ معناه أمّا لو شاء اللّه تعالى في الأزل أن نتّبعكم لتبعناكم، لكن ما شاء ذلك فلا نتّبعكم.

قوله (هَارُوْنُ) هو نبيّ الله هارون بن عمران أخو موسى عليهما السلام. قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾، وكان نبيًا رسولًا إلى بني إسرائيل. وكان هارون وزيرًا ومعينًا ومساعدًا في الدّعوة إلى الله مع أخيه موسى وكان معه عند الدّخول على فرعون وغيره. قال الله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾[2].

وأما (مُوْسَى) فهو موسى بن عمران من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، أحد أولي العزم من الرّسل، فضّله الله تعالى وخصّه بأعلى المراتب ومنها سماع كلام الله الذاتيّ الأزلي من دون وساطة الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۚ﴾[3].

وطلب موسى من الله أن يقربه من أرض المقدس، فلما جاء أجله قرّبه الله إلى الأرض المقدّسة رمية بحجر. وقال الحافظ وليّ الدّين العراقيّ في حديث أبي هريرة أنّ موسى قال «ربّ أدنني من الأرض المقدّسة رمية بحجر»، وأنّ النّبيّ ﷺ قال: «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطّريق عند الكثيب

(١) سورة الأعراف، الآية ٨٨-٨٩.

(٢) سورة طه، الآية ٢٩ -٣٢.

(٣) سورة النساء، الآية ١٦٤.

الأحمر» فيه استحباب معرفة قبور الصّالحين لزيارتها والقيام بحقّها اهـ

فيفهم من قول رسول الله عن قبر موسى عليه السلام «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطّريق عند الكثيب الأحمر» والذي هو قرب مدينة أريحا، الإشارة إلى أن زيارة قبور الأنبياء والصّالحين للتبرك بهم مطلوبة وعلى هذا كان الأكابر وعلى ذلك نصّوا، وذكر الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبليّ الذي هو من أعمدة المذهب الحنبليّ أنه ممّا يستحبّ قوله عند زيارة قبر رسول الله ﷺ: «اللهم إنك قلت في كتابك لنبيّك ﷺ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[1] وإنّي قد أتيت نبيّك تائبًا مستغفرًا فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجّه إليك بنبيّك ﷺ نبيّ الرّحمة يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلى ربّي ليغفر لي ذنوبي»[2]، فبعد هذا كيف يقول بعضهم إن زيارة قبر النّبي للتبرّك به والتّوسّل به زيارة شركيّة فما أبعد هؤلاء عن الحقّ.

فهؤلاء الذين يكفّرون الشّخص لأنّه قصد قبر الرّسول أو غيره من الأولياء للتبرّك فهم جهلوا معنى العبادة، وخالفوا ما عليه المسلمون، لأنّ المسلمين سلفًا وخلفًا لم يزالوا يزورون قبر النّبيّ للتبرك وليس معنى الزّيارة للتّبرّك أنّ الرّسول يخلق لهم البركة بل المعنى أنّهم يرجون أن يخلق الله لهم البركة بزيارتهم لقبره.

والدّليل على ذلك ما رواه البيهقيّ بإسناد صحيح عن مالك الدّار وكان خازن عمر قال أصاب النّاس قحط[3] في زمان عمر فجاء رجل[4] إلى قبر

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٤.

(٢) التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد، لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت ٥١٣ هـ)، (ص ١١٧).

(٣) أي وقعت مجاعة، تسعة أشهر انقطع المطر عنهم.

(٤) أي من الصّحابة.

النّبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمّتك فإنّهم قد هلكوا[١] فأتي الرجل في المنام[٢] فقيل له أقرئ عمر السّلام وأخبره أنّهم يسقون[٣]، وقل له عليك الكيس الكيس[٤]. فأتى الرّجل عمر فأخبره، فبكى عمر وقال يا ربّ ما ءالو إلا ما عجزت. وجاء في تفسير هذا الرّجل أنّه بلال بن الحارث المزنيّ الصّحابيّ. فهذا الصّحابيّ قد قصد قبر الرّسول للتبرّك فلم ينكر عليه عمر ولا غيره فبطل دعوى ابن تيمية أنّ هذه الزّيارة شركيّة.

وذكر عن بعض أكابر السّلف ممّن كان في زمن الإمام أحمد ابن حنبل واسمه إبراهيم الحربيّ أبو إسحاق وكان حافظًا فقيهًا مجتهدًا يشبّه بأحمد ابن حنبل، وكان الإمام أحمد يرسل ابنه ليتعلّم عنده الحديث أنه قال: «قبر معروف التّرياق المجرّب»، والتّرياق هو دواء مركب من أجزاء وهو معروف عند الأطباء القدامى من كثرة منافعه وهو عندهم أنواع، شبّه الحربيّ قبر معروف بالترياق في كثرة الانتفاع فكأنّ الحربيّ قال أيها الناس اقصدوا قبر معروف تبركًا به من كثرة منافعه.

وروي عن الشّافعي أنه كان يقول: «إنّي لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كلّ يوم – يعني زائرًا – فإذا عرضت لي حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى».

وذكر الحافظ الجزريّ وهو شيخ القرّاء وكان من حفّاظ الحديث في كتاب له يسمّى الحصن الحصين وكذلك ذكر في مختصره قال: «من مواضع إجابة الدّعاء قبور الصّالحين» اهـ، وهذا الحافظ جاء بعد ابن تيمية بنحو مائة سنة، ولم ينكر عليه العلماء إلا أن يكون بعض الشّاذّين الذين لحقوا نفاة التّوسّل من

---

(١) معناه اطلب من الله المطر لأمّتك فإنّهم قد هلكوا.

(٢) أي أري في المنام أن رسول الله (ﷺ) يكلمه.

(٣) أي سيأتيهم المطر، ثم سقاهم الله تعالى حتّى سمّي ذلك العام عام الفتق من شدّة ما ظهر من الأعشاب وسمنت المواشي حتّى تفتّقت بالشّحم.

(٤) أي عليك بالتفكر فيما تركت فعله مما ينبغي لتزول هذه النازلة عن المسلمين.

أتباع ابن تيمية.

وقال الإمام مالك للخليفة المنصور لما حجّ فزار قبر النّبيّ ﷺ فسأله قائلا «يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم عليه السلام إلى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفّعه الله» ذكره القاضي عياض في كتاب الشّفا[1].

هذا قليل من كثير مما تحويه كتب المحدثين والمؤرخين من قصد المسلمين قبور الأنبياء والصالحين للتبرك من غير إنكار من أحد منهم، فلو تتبع ما في كتب التاريخ والحديث وطبقات المحدثين والزهاد من هذا الباب لجاء مجلدات عديدة.

وكذلك **(اليَسَع)** من الأنبياء وهو من ذرّية يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل عليهم الصّلاة والسّلام وذكره الله تعالى في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[2] وقال تعالى في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾[3].

وكذلك **(ذُوْ الْكِفْلِ)** نبيّ من الأنبياء الكرام، قيل إنّه سمّي ذا الكفل لأنّه كان تكفّل لبني قومه أن يكفيهم ويقضي بينهم بالعدل قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾، وقال تعالى ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

قوله **(دَاوُدُ)** أي أن داود عليه الصلاة والسلام هو أيضًا من الأنبياء الكرام، وءاتاه الله تعالى النبوة والملك في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٩٢ - ٩٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٦.

(٣) سورة ص، الآية ٤٨.

ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[1]، فبعد أن بلغ داود عليه الصّلاة والسّلام من العمر أربعين سنة ءاتاه اللّه تعالى النّبوّة مع الملك وجعله نبيًا في بني إسرائيل، فدعا داود عليه الصّلاة والسّلام قومه بني إسرائيل إلى تطبيق شريعة التّوراة الّتي فيها أنّ اللّه ربّ هذا العالم كلّه وأنّه الّذي خلقه وأبدعه وأنّه لا أحد يستحقّ العبادة إلّا اللّه تعالى وحده، وأنزل اللّه تبارك وتعالى على نبيّه داود عليه الصّلاة والسّلام الزّبور وفيه مواعظ وعبر ورقائق وأذكار، وءاتاه الحكمة وفصل الخطاب يقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[2].

وكان داود عليه الصّلاة والسّلام إذا قرأ الزّبور وما فيه من رقائق وأذكار تكف الطّير عن الطّيران وتقف على الأغصان والأشجار لتسمع صوته النّديّ العذب وتسبّح بتسبيحه، وكذلك الجبال تردّد معه في العشيّ والإبكار تجيبه وتسبّح اللّه معه كلّما سبّح بكرة وعشيًا وتعكف الجنّ والإنس والطّير والدّوابّ على صوته، يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

وليعلم أنّ بعض المفسّرين أورد في قصّة الخصمين مع نبيّ اللّه داود عليه السّلام قصصًا إسرائيليّات لا تليق بني اللّه داود الّذي خصّه اللّه تعالى بنبوّته وأكرمه برسالته، لأنّ الأنبياء جميعهم تجب لهم العصمة من الكفر والرّذائل وكبائر الذّنوب وصغائر الخسّة كما تقدّم، لذلك لا يجوز الاعتماد على مثل هذه القصص المنسوبة للأنبياء ولا يجوز اعتقادها لأنّها تنافي العصمة الواجبة لهم، وينبغي الاقتصار في فهم قصّة الخصمين مع داود عليه السّلام على ظاهر ما جاء ذكره في القرءان قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ

(١) سورة ص، الآية ١٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٥٥.

(٣) سورة ص، الآية ١٩.

أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

فقد جاء في تفسيرها أنّ الخصمين كانا في الحقيقة من البشر من بني ءادم بلا شكّ وأنّهما كانا مشتركين في نعاج من الغنم على الحقيقة، وأنّه بغى أحدهما على الآخر وظلمه على ما نصّت الآية.

وأمّا استغفاره عليه الصّلاة والسّلام كما جاء في الآية فلأجل الذّنب الصّغير الّذي وقع فيه وهو أنّه تعجّل بالحكم على الخصم الآخر قبل التّثبّت في الدّعوى، وكان يجب عليه لما سمع الدّعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عمّا عنده فيها ولا يقضي عليه بالحكم قبل سؤاله، ورجع داود عليه السّلام عن ذلك وغفر اللّه تعالى له هذا الذّنب بنصّ القرءان الكريم قال اللّه تعالى ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾[2].

وكذلك (سُلَيْمانُ) عليه الصّلاة والسّلام كان نبيًا مكرمًا معصومًا أكرمه اللّه تبارك وتعالى بنعم كثيرة وخصّه بمزايا رائعة منها تسخير اللّه له الرّيح والشّياطين، ومنها علمه منطق الطّير ولغته وسائر لغات الحيوانات فكان يفهم عنها ما لا يفهمه سائر النّاس، قال اللّه عزّ وجل:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾[3].

ومن جملة ما جاء ذكره في القرآن عن سيدنا سليمان قصته مع ملكة سبأ وأمره بجلب عرشها قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي

(١) سورة ص، الآية ٢٢-٢٤.

(٢) سورة ص، الآية ٢٥.

(٣) سورة النمل، الآية ١٦.

عَلَيَّ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾﴾[1].

والّذي عنده علم من الكتاب هو أحد أولياء مؤمني الإنس من أتباع سليمان وفي إحضاره عرش بلقيس بطرفة عين دليل على ثبوت الكرامة للأولياء، والكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد المؤمن المستقيم بطاعة اللّه وبذلك تفترق عن السّحر والشّعوذة، وتفترق عن المعجزة بأن المعجزة تكون لإثبات النّبوّة وأمّا الكرامة فتكون للدّلالة على صدق اتّباع صاحبها لنبيّه عليه السّلام.

وقوله (اتَّبَع) أي النّهج القويم وطريق الأنبياء المستقيم.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِلْيَـاسُ يُوْنُـسْ زَكَرِيَّـا يَحْيَـى عِيْسَـى وَطَـهَ خَاتِـمٌ دَعْ غَيَّـا

يعني أنّ (إِلْيَـاس) كذلك من أنبياء الله الكرام وهو من أنبياء بني إسرائيل، جاء ذكره في القرءان بلفظ إلياس قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾، وجاء بلفظ إلياسين كما في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

وكذلك (يُوْنُسْ) نبي من الأنبياء المذكورين في القرءان العظيم، ذكره الله بلقبه ذا النون أي صاحب الحوت، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾، وقال تعالى في آية أخرى ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾﴾[2]، وذكر باسمه أيضا في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة النمل، الآية ٣٨ – ٤٠.

(٢) سورة القلم، الآية ٤٨.

(٣) سورة الصافات، الآية ١٣٩.

وأمّا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[1]. فالنون هو الحوت وأضيف عليه السلام إليه لابتلاعه إيّاه، وقوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي ذهب مغاضبًا لقومه من أهل نينوى لأنهم كذبوه ولم يؤمنوا بدعوته.

ولا يجوز أن يعتقد أنّ نبيّ اللّه يونس عليه السّلام ذهب مغاضبًا لربّه، فمثل هذا ضلال لا يجوز في حقّ أنبياء اللّه الّذين عصمهم اللّه وجعلهم هداة مهتدين عارفين بربّهم، فمن نسب إلى يونس عليه السّلام أنّه ذهب مغاضبًا للّه فقد افترى على نبيّ اللّه ونسب إليه الجهل باللّه والكفر به، وهذا يستحيل على الأنبياء لأنّهم معصومون من الكفر والكبائر وصغائر الخسّة قبل النّبوّة وبعدها.

وأما قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي ظنّ أنّ الله تعالى لن يضيّق عليه بتركه لقومه قبل أن يؤمر بذلك.

وقوله **(زَكَرِيَّا)** هو نبي الله بعثه إلى بني إسرائيل يدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته كسائر الأنبياء قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥﴾[2]. وكان زكريا عليه السلام كفيلاً لمريم ابنة عمران كما قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾[3].

قوله **(يَحْيَى)** هو ابن نبي الله زكريا قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٥.

(٣) سورة ءال عمران، الآية ٣٩.

تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ والحصور هو الذي لا رغبة له في النساء مع قدرته على ذلك، فلا يصح ما يذكره بعض الناس من أن يحيى كان لا يقدر على إتيان النساء لعجزه عن ذلك.

قوله (عِيْسَى) هو ابن مريم وهو ءاخر الأنبياء قبل نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام. روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده والبيهقيّ وغيرهم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ليس بيني وبينه نبيّ**».

ولمّا بلغ سيّدنا عيسى المسيح عليه السّلام الثّلاثين من عمره، أوحى اللّه تعالى إليه أن يدعو النّاس إلى عبادة اللّه عزّ وجلّ، فخرج عليه السلام يجوب البلاد ويجول في القرى، يدعو إلى دين الإسلام العظيم قائلًا للنّاس: اعبدوا اللّه وحده ولا تشركوا به شيئًا وءامنوا بأنّي رسول اللّه إليكم، فآمن به أوّل من ءامن اثنا عشر شخصًا يسمّون الحواريّين.

ولما تآمر عليه أعداؤه ليقتلوه رفعه الله إلى السّماء قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

ومعنى قول الله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي رافعك إلى السّماء وأنت حيّ يقظان، ويجوز أن يفسّر بأنّ هذا من باب المقدّم والمؤخّر فكأنّ السياق إني رافعك ومطهّرك من الذين كفروا ومتوفيك أي مميتك، وهو تفسير ابن عباس.

وقبل يوم القيامة ينزل سيّدنا عيسى عليه السّلام إلى الأرض ويحكم بشريعة محمّد ﷺ، قال الله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[3] أي أنّ نزول

(١) سورة مريم، الآية ١٢-١٣.

(٢) سورة ءال عمران، الآية ٥٤-٥٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٦١.

سيّدنا عيسى من السماء من العلامات الكبرى ليوم القيامة، وقال رسول الله ﷺ: «**ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكمًا مقسطًا وليسلكنّ فجًا حاجًا أو معتمرًا وليأتيّن قبرى حتى يسّلم علىّ ولأردّن عليه**» رواه الحاكم في المستدرك.

وأضاف الله تعالى روح عيسى ﷺ إلى نفسه على معنى الملك والتّشريف لا للجزئيّة في قوله تعالى ﴿مِن رُّوحِنَا﴾[1]، وكذلك في حقّ ءادم قوله تعالى ﴿مِن رُّوحِي﴾[2] فمعنى قوله تعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[3] أمرنا جبريل عليه السّلام أن ينفخ في مريم الرّوح التي هي ملك لنا ومشرّفة عندنا.

فكلتا الإضافتين للتّشريف مع إثبات الملك أي أنهما ملك لله وخلق له، فإن قيل كلّ الأرواح ملك لله وخلق له فما فائدة الإضافة قيل: فائدة الإضافة الدّلالة على شرفهما عند الله. ولا يجوز عقلًا أن يكون الله روحًا لأن الرّوح حادث مخلوق..

قال الناظم **(وَطَهَ خَاتِمٌ)** يريد به أن محمدًا ﷺ ءاخر الأنبياء فيجب الإيمان أنه رسول الله وأنه خاتم النبيين أي ءاخرهم، قال الله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[4]، وقال رسول الله ﷺ «**وختم بي النبيون**» رواه مسلم، وقال ﷺ «**وأنا العاقب الذي ليس بعده نبيّ**» أخرجه البخاريّ وغيره.[5]

---

(١) سورة التحريم، الآية ١٢.

(٢) سورة ص، الآية ٧٢.

(٣) سورة التحريم، الآية ١٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٥) خالف أهل السنة والجماعة في ذلك جماعة يقال لها القاديانية أتباع غلام أحمد القادياني، وكلامهم تكذيب للنصوص الشرعية ورد لها، حيث قال غلام أحمد هذا عن نفسه إنه نبيّ رسول، وتارة يقول إنها نبوة تجديدية، وتارة إنها نبوة ظلية أي تحت ظل محمد يريد بذلك التستر بهذه العناوين المزيّفة لئلا يشتدّ عليه النكير في ما ادّعاه خوفا من الشناعة عند الإشاعة. ورد عليها علماء أهل السنة بما كفى ووفى والحمد لله.

وقوله (دَعْ غَيَّا) أي اترك وابتعد عن سبيل الغواية والضّلال واتّبع سبيل الهدى والرّشاد.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ وَءالِهِمْ مَا دَامَتِ الأَيَّامُ

يعني أنّ جميع الأنبياء الخمسة والعشرين الّذين ذكرهم اللّه بأسمائهم في القرءان عليهم الصّلاة والسّلام من اللّه تعالى. جاء في الحديث: «**صلّوا على أنبياء الله ورسله؛ فإنّ الله بعثهم كما بعثني**» رواه عبد الرّزاق في مصنّفه.

والصّلاة هنا معناها التّعظيم والتّشريف، أي اللّهمّ زد الأنبياء شرفًا وعظمة، والسّلام معناه الأمان أي أمّنهم يا ربّ ممّا يخافون على أممهم. والمراد بالآل هنا الأتباع وقوله (ما دامت الأيّام) أي على مرّ الزّمن.

فصل في الإيمان بالملائكة عليهم السلام

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالمَلَكُ الذِيْ بِلا أَبٍ وَأُمْ لا أَكْلَ لا شُرْبَ ولا نَوْمَ لَهُمْ

الملك هو واحد الملائكة، واللّه خلقهم من نور بلا أب ولا أمّ، فهم لا يتناكحون ولا يتوالدون بل عباد مكرمون، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتعبون، لم يجعل اللّه لهم هذه الشّهوات كما هو حال البشر. قال اللّه تعالى ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ ولا يعلم عدد الملائكة إلّا اللّه قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

والإيمان بالملائكة من أمور الإيمان السّتّة الّتي ذكرها النّبيّ ﷺ في حديث جبريل: قال أخبرني عن الإيمان، قال: الإيمان أن تؤمن باللّه وملائكته اهـ الحديث.

وللملائكة وظائف مختلفة منهم سفراء بيّن اللّه تعالى وبين أنبيائه المبعوثين إلى الخليقة، ومنهم من وكّل بالرّيح، ومنهم من وكّل بالمطر، ومنهم من وكّل بالزّرع، ومنهم من وكّل بالجبال، ومنهم من وكّل بقبض الأرواح، ومنهم من وكّل بالعذاب، ومنهم من وكّل بوقايتنا من أذى الشّياطين إلى غير ذلك.

والملائكة كلّهم أولياء اللّه لا يعصون اللّه طرفة عين، قال اللّه تعالى في الملائكة: ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾[2].

(١) سورة المدثر، الآية ٣١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٧.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَفْصِيلُ عَشْرٍ مِنْهُمُ جِبْرِيلُ مِيكَالُ إِسْرَافِيْلُ عَزْرَائِيلُ
مُنْكَرْ نَكِيْرٌ وَرَقِيبٌ وَكَذَا عَتِيْدُ مَالِكٌ وَرِضْوانُ احْتَذَى

قد أورد الناظم هنا تفصيل عشر أسماء من زعماء الملائكة الكرام، الأول (جِبْرِيلُ) ويقال جبرائيل وهو رئيس الملائكة الكرام، وأمين الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويسمى جبريل بالروح الأمين وروح القدس.

والثاني (مِيكَالُ) ويقال مكائيل أيضًا، وهو موكل بالمطر والنبات قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1].

والثالث من الملائكة الكرام (إِسْرَافِيْلُ) وهو ملك كريم موكّل بالنفخ بالصور يوم القيامة. والرابع (عَزْرَائِيلُ) عليه السلام وهو ملك الموت وهو الذي وكله الله بقبض كل الأرواح. ولا يجوز سبه كما شاع عند بعض الناس بل من شتم عزرائيل عليه السلام يكفر نصّ على ذلك ابن فرحون المالكي في تبصرة الحكام، وكذا يكفر من شتم أيّ ملك من ملائكة الله كجبريل وإسرافيل وميكائيل وغيرهم من ملائكة الله.

(مُنْكَرْ نَكِيْرٌ) عليهما السلام هما اللذان يمتحنان الناس في القبر بالسؤال، قال رسول الله ﷺ: «**إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير**» اهـ وسميا منكرًا ونكيرًا لأنهما على هيئة غير معروفة تختلف عن سائر الملائكة وعن الإنس والجن وليس معناه باطلًا قال تعالى حكاية عن إبراهيم لما أتته الملائكة بهيئة لم يعرفهم بها ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية ٩٨.
(٢) سورة الذاريات، الآية ٢٥.

وقول الناظم (وَرَقِيبٌ) عليه السلام هو الملك الموكل بكتابة الحسنات. وبعده (عَتِيْدُ) عليه السلام وهو الملك الموكل بكتابة السيئات، وهذا ما جاء في القرءان قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

وقوله (مَالِكٌ) عليه السلام هو خازن النار ورئيس الملائكة الموكلين بتعذيب أهل النار، وله أعوان من الملائكة يسمون الزبانية. قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[1]، وقال: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾[2].

وقوله (وَرِضْوانُ) عليه السلام (احْتَذَى) أي هو معدود في جملة الملائكة، وهو خازن الجنة وله أعوان من الملائكة يسمّون الخزنة، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[3].

وإبليس ليس من الملائكة بل هو من الجن، ومن هنا يعلم بطلان ما يقوله بعض الناس إن إبليس كان طاووس الملائكة، أو معلم الملائكة، فإنّ في هذا مدحًا لإبليس وخفضًا للملائكة الكرام، ولو كان إبليس من الملائكة لما عصى الله وغوى، فالملائكة صفتهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم قال الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[4].

(١) سورة الزخرف، الآية ٧٧.
(٢) سورة العلق، الآية ١٨.
(٣) سورة الزمر، الآية ٧٣.
(٤) سورة التحريم، الآية ٦.

فصل في الإيمان بالكتب السّماويّة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَرْبَعَـةٌ مِـنْ كُتُـبٍ تَفْصِيْلُهَـا تَوْرَاةُ مُوْسَى بِالـهُدَى تَنْزِيْلُها

يجب الإيمان بالكتب السّماويّة المنزّلة على رسل اللّه وهي مائة وأربعة، أشهرها أربعة القرءان والتّوراة والإنجيل والزّبور. والمقصود بالإيمان بالكتب الّتي أنزلها اللّه على أنبيائه أي الاعتقاد جزمًا بأنّها كلّها كلام اللّه أنزله على أنبيائه.

وروى ابن حبّان وغيره أنّ عددها مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها خمسون على شيث، وثلاثون على أخنوخ، ويقال خنوخ وهو إدريس، وعشرة على إبراهيم، وعشرة على موسى قبل التّوراة، والتّوراة عليه أيضًا، والزّبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرءان على محمّد صلوات اللّه وسلامه عليهم اهـ

وقول النّاظم (تَوْرَاةُ مُوْسَى) نزلت عليه باللغة العبرانيّة لهداية النّاس وإخراجهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان والحقّ. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[1].

قال الناظم رحمه الله:

زَبُـوْرُ دَاودَ وَإِنْجِيـلٌ عَلَـى عِيسَـى وَفُرْقَـانٌ علَى خَيْرِ الْـمَلَا

الزّبور بفتح الزّاي وضمّها كتاب أنزل على نبيّ اللّه داود عليه الصّلاة

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

والسّلام باللّغة العبرانيّة.

وأمّا الإنجيل فهو الكتاب المنزل على سيّدنا عيسى المسيح ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام، نزل باللّغة السّريانيّة.

وءاخر الكتب المنزّلة وأفضلها القرءان، وهو كتاب اللّه المنزّل على سيّدنا محمّد ﷺ (خَيْرِ الـمَلَا) أي خير الخلق، وهو مهيمن على ما قبله من الكتب السّماويّة أي أنّه لا ناسخ له بل هو ينسخ الشّرائع الّتي أنزلها اللّه على أنبيائه. ومن أسماء القران الفرقان لأنّه به يفرّق النّاس بين الحقّ والباطل.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَصُحُـفُ الخَلِيْـلِ وَالكَلِيْـمِ فِيهَـا كلامُ الحَكَـمِ العَلِيْـمِ

يعني أنّ من الكتب المنزّلة (صُحُف) إبراهيم ﷺ وعددها عشرة صحف فيها مواعظ وعبر وليس فيها أحكام شرعيّة. وعرف إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام بـ(الخَلِيْل) أي خليل الرّحمن لأنّه بلغ الغاية في الانقطاع إلى اللّه بعد نبيّنا محمّد ﷺ.

وممّا أنزل اللّه على (الكَلِيْم) وهو موسى بن عمران عليه الصّلاة والسّلام عشر صحف قبل التّوراة، قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[1]، وتسمية موسى عليه السّلام بالكليم لأنّه سمع كلام اللّه الّذي ليس حرفًا ولا صوتًا.

وقوله (فِيهَا) أي جميع كتب اللّه السّماويّة المائة والأربعة (كلامُ الحَكَمِ) أي اللّفظ المنزّل الدّال على كلام اللّه الّذي لا رادّ لحكمه، (العَلِيْمِ) المتّصف بالعلم الأزليّ الّذي لا يتغيّر.

فالكتب المنزلة كلّها عبارات عن كلام اللّه الذّاتيّ أي القائم بذاته تعالى

(١) سورة الأعلى، الآية ١٩.

الأزليّ القديم المنزّه عن حرف أو صوت أو حدوث وهذا معنى قول أهل السّنّة القرءان كلام اللّه غير مخلوق، مكتوب في مصاحفنا، محفوظ في صدورنا، مقروء بألسنتنا غير حال فيها.

القرءان والتّوراة والإنجيل والزّبور وسائر كتب اللّه إن قصد بها الكلام الذّاتيّ فهي أزليّة ليست بحرف ولا صوت، وإن قصد بها اللّفظ المنزّل الّذي بعضه بلغة العرب وبعضه بالعبرانيّة وبعضه بالسّريانيّة فهو حادث مخلوق للّه لكنّها ليست من تصنيف ملك ولا بشرّ وهي عبارات عن الكلام الذّاتيّ الّذي لا يوصف بأنّه عربيّ ولا بأنّه عبرانيّ ولا بأنّه سريانيّ.

وكلّ يطلق عليه كلام اللّه، أي أنّ صفة الكلام القائمة بذات اللّه يقال لها كلام اللّه، واللّفظ المنـزّل الّذي هو عبارة عن كلام اللّه الذّاتيّ الأزليّ الأبديّ يقال له كلام اللّه.

فتبيّن بما تقدّم أنّ القرءان له إطلاقان، أي له معنيان:

الأول: إطلاقه على الكلام الذّاتي الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربية ولا غيرها.

والثاني: إطلاقه على اللفظ المنزّل الذي يقرؤه المؤمنون كما في قوله تعالى فى سورة الإسراء ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1]. ولا يلزم من كون العبارة حادثة كون المعبّر عنه حادثًا. ومع ذلك لا يقال القرءان وغيره من الكتب المنزّلة مخلوق، لكن يبيّن في مقام التّعليم أنّ اللّفظ المنزّل ليس قائمًا بذات اللّه بل هو مخلوق للّه لأنّه حروف يسبق بعضها بعضًا وما كان كذلك فهو حادث مخلوق قطعًا لكنّه ليس من تصنيف ملك ولا بشر بل هو عبارة عن الكلام الذاتيّ الذي لا يوصف بأنّه عربيّ ولا بأنّه عبرانيّ ولا بأنّه سريانيّ وكلّ يطلق عليه كلام الله أي أنّ صفة الكلام القائمة بذات الله يقال لها كلام الله واللّفظ المنزّل الذي هو عبارة عنه يقال له كلام الله. قال الله تعالى:

(١) سورة النحل، الآية ٩٨.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الآية.

وتقريب ذلك أنّ لفظ الجلالة (اللّه) عبارة عن ذات أزليّ قديم أبديّ فإذا قلنا نعبد اللّه فذلك الذّات هو المقصود، وإذا كتب هذا اللّفظ فقيل ما هذا؟ يقال: اللّه، بمعنى أنّ هذه الحروف تدلّ على ذلك الذّات الأزليّ الأبديّ، لا بمعنى أنّ هذه الحروف هي الذّات الّذي نعبده.

فصل في الإيمان بما جاء عن رسول الله ﷺ

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُـلُّ مَـا أَتَـى بِـهِ الرَّسُـولُ فَـحَـقُّـهُ الـتَّـسْـلِـيمُ والْقَبُـولُ

(وكلّ ما أتى به الرّسول) أي كلّ ما أخبر عنه الرّسول ﷺ من أحكام الدّين والإخبار عمّا يحدث في زمانه وفيما بعد زمانه وأمور القيامة والآخرة (فَحَقُّه) أي الواجب علينا واللّازم شرعًا (التَّسْلِيمُ) له أي الاعتراف والإقرار بصحّته وكذا (الْقَبُولُ) بفتح القاف وضمّها وهو الإيمان والتّصديق[1]، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

ولا يخطئ النّبيّ ﷺ في ذلك أبدًا، سواء كان من أخبار من قبله من الأمم والأنبياء وبدء الخلق أو من التّحليل أو التّحريم لبعض أفعال وأقوال العباد أو ممّا أخبر به ممّا يحدث في المستقبل في الدّنيا وفي البرزخ وفي اللآخرة وذلك لقول اللّه تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3] فاعتقاد حصول الخطإ من الأنبياء في الشّريعة تكذيب للدّين.

(١) قال ابن التلمسانيّ ما نصه: «اعلم أنه لمّا ثبت صدق الرسول ﷺ وعصمته فيما يبلغه عن الله تعالى وجب التصديق بكل ما أخبر من أمور الغيب جملة وتفصيلا فإن كان مما يعلم تفصيله وجب اعتقاده، فإن لم يعلم تفصيله وجب أن يؤمن به جملة ، ويردّ تأويله إلى الله تعالى ورسوله ولمن اختصه الله عز وجل بالاطلاع على ذلك اهـ

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) سورة النجم، الآية ٣-٤.

فصل في الإيمان باليوم الآخر

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِيْمَانُنا بِيَومٍ آخِرٍ وَجَبْ وَكُلِّ مَا كَانَ بِهِ مِنَ العَجَبْ

يجب الإيمان باليوم الآخر وسمّي كذلك لأنّه ءاخر أيّام الدّنيا ولا ليل بعده ولا نهار، والمراد التّصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والنّشر والحشر، والحساب والثّواب والعذاب، والميزان والصّراط، ودخول الجنّة أو النّار، واستمرار الزّمان أبدًا دائمًا لا انقطاع له مع بقاء الجنّة وبقاء أهلها منعّمين فيها وبقاء النّار وبقاء أهلها معذّبين فيها. قال اللّه تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[1]

والقيامة أوّلها من خروج النّاس من قبورهم إلى دخول أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار، وتطلق الآخرة على ذلك وعلى ما بعده إلى ما لا نهاية له. قال اللّه تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَۗ﴾[2].

وأمّا البعث فهو خروج الموتى من القبور بعد إعادة الجسد الّذي أكله التّراب إن كان من الأجساد الّتي يأكلها التّراب وهي أجساد غير الأنبياء وشهداء المعركة وكذلك بعض الأولياء لا يأكل التّراب أجسادهم لما تواتر من مشاهدة ذلك. قال اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾[3].

(١) سورة النساء، الآية ١٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١٦.

وأمّا الحشر فهو أن يجمع النّاس ويساقوا بعد البعث إلى المحشر وهو أرض الشّام ثمّ ينقلون عند دكّ الأرض إلى ظلمة عند الصّراط ثمّ يعادون إلى الأرض المبدّلة فيكون الحساب عليها. قال اللّه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾[1].

والحساب وهو عرض أعمال العباد عليهم، يعرض عليهم ما عملوا في الدّنيا. والثّواب هو الجزاء الّذي يجازاه المؤمن في الآخرة على العمل الصّالح ممّا يسرّه، وأمّا العذاب فهو ما يسوء العبد ذلك اليوم من دخول النّار وما دون ذلك من العقوبات على المعاصي. قال اللّه تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٥١﴾[2].

والميزان أي ما يوزن عليه أعمال العباد فالكافر ليس له حسنات يوم القيامة إنّما توضع سيّئاته في كفّة من الكفّتين، وأمّا المؤمن فتوضع حسناته في كفّة وسيّئاته في الكفّة الأخرى. قال اللّه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[3].

والصّراط وهو جسر يمدّ على ظهر جهنّم فيردّه النّاس أحد طرفيه في الأرض المبدّلة والطّرف الآخر فيما يلي الجنّة بعد النّار، فيمرّ النّاس فيما يسامت الصّراط والمؤمنون في ذلك على قسمين: قسم لا يدوسون الصّراط إنّما يمرّون في هوائه طائرين، وهؤلاء يصدق عليهم أنّهم وردّوها أي وردّوا النّار لأنّه ليس من شرط الورود المذكور في القرءان بقوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[4] دخولها، وقسم يدوسونه ثمّ هؤلاء قسم منهم يقعون في النّار وقسم ينجّيهم اللّه فيخلصون منها. قال رسول اللّه ﷺ: «**يضرب الصّراط بين ظهراني جهنّم فأكون أوّل من يجوز الصّراط من أمّتي**» متفق عليه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٥١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

(٤) سورة مريم، الآية ٧١.

والحوض وهو مكان أعدّ اللّه فيه شرابًا لأهل الجنّة يشربون منه بعد عبور الصّراط قبل دخول الجنّة فلا يصيبهم بعد ذلك ظمأ وإنّما يشربون من شراب الجنّة تلذّذا. قال رسول اللّه ﷺ: «**إنّا فرطكم على الحوض فمن وردّه شرب منه ومن شرب منه لا يظمأ بعده أبدًا**» رواه البخاريّ.

والشّفاعة تكون للمسلمين فقط، فالأنبياء يشفعون وكذلك العلماء العاملون وشهداء المعركة والملائكة وغيرهم. والشّفاعة هي طلب الخير من الغير للغير، فالشّفعاء في الآخرة يطلبون من اللّه إسقاط العقاب لبعض العصاة من المسلمين وذلك قد يكون قبل دخول النّار ويكون بعده. قال رسول الله ﷺ: «**لكلّ نبيّ دعوة مستجابة فتعجّل كلّ نبيّ دعوته وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي إلى يوم القيامة فهي نائلة إن شاء اللّه من مات من أمّتي لا يشرك باللّه شيئا**» رواه مسلم.

والجنّة وهي دار السّلام أي دار النّعيم المقيم الدّائم، والنّعيم فيها قسمان نعيم لا يناله إلّا الأتقياء، ونعيم يناله كلّ أهل الجنّة، ومن هذا النّعيم العامّ أنّ أهل الجنّة كلّهم شباب أصحّاء لا يهرمون أبدًا ولا يمرّضون أبدًا، وكلّهم في سرور لا يصيبهم همّ ولا حزن ولا كرب، أحياء في نعيم دائم لا يموتون أبدًا. قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾[1].

والنّار أي جهنّم وهي دار تعذيب للكفّار، فيجب الإيمان بأنّها مخلوقة الآن ولا تزال باقية إلى ما لا نهاية له، هذا مذهب أهل الحقّ، قال تعالى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾[2].

وليس الأمر كما يقول ابن تيميّة أنّها تفنى لا يبقى فيها أحد. وقد قال قبل ذلك في كتابه «**منهاج السّنّة النّبويّة**» اتّفق المسلمون على بقاء الجنّة

(١) سورة البقرة، الآية ٨٢.

(٢) سورة ءال عمران، الآية ٨٨.

والنّار وخالف في ذلك جهم بن صفوان فكفّره المسلمون اه ثمّ قال بعد ذلك النّار تفنى ولا يبقى فيها أحد فكما كفّر هو جهمًا لقوله بأنّ الجنّة والنّار تفنيان يكفّر هو لقوله بفناء النّار لأنّه تكذيب للنّصّ القرءاني. وللإمام السّبكيّ ردّ على ابن تيميّة سمّاه «الاعتبار ببقاء الجنّة والنّار».

فصل في سيرة النّبي محمّد ﷺ

خَاتِمَةٌ فِي ذِكْرِ بَاقِي الوَاجِبِ مِمَّا عَلَى مُكَلَّفٍ مِنْ وَاجِبِ

ذكر النّاظم في هذه الخاتمة أمورًا من المهمّ معرفتها تتعلّق بالنّبيّ ﷺ زيادة على ما يجب من الإيمان به ﷺ والإيمان بما أخبر به وبلّغه عن اللّه سبحانه وتعالى. ولكن ليس كلّ ما ذكره النّاظم واجبًا على كلّ مكلّف معرفته بل بعضه فرض عيني كمعرفة نسب النّبيّ ﷺ أنّه محمّد بن عبد اللّه، وبعضه معرفته على سبيل فرض الكفاية.

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ قَدْ أُرْسِلَا لِلعَالَمِيْنَ رَحْمَةً وَفُضِّلَا

يعني أنّ نبيّنا محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب القرشيّ هو عبد اللّه ورسوله إلى كافّة الخلق، والمراد بالخلق هنا الإنس والجنّ، قال تعالى ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[1]، وهذا الإنذار للإنس والجنّ فقط لا دخول للملائكة فيه لأنّهم مجبولون على طاعة اللّه فلا يحتاجون إلى إنذار. فالرّسول ﷺ مرسل إلى كافّة الإنس من عرب وعجم وإلى كافّة الجنّ. قال اللّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2].

وقوله (وَفُضِّلَا) أي يجب اعتقاد أنّ سيّدنا محمّدا ﷺ قد فضله اللّه على جميع الخلق، قال رسول الله ﷺ : أنا سيّد ولد ءادم ولا فخر اهـ أي لا أقول ذلك من باب الفخر والتّكبّر، وأجمعت الأمّة على أنّه ﷺ أفضل خلق اللّه أجمعين.

(١) سورة الفرقان، الآية ١.

(٢) سورة سبأ، الآية ٢٨.

فصل في نسب النبيّ الشّريف ﷺ

أَبُوْهُ عَبْدُ اللهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبْ وَهَاشِمٌ عَبْدُ مَنَافٍ يَنْتَسِبْ

وَأُمُّهُ ءَامِنَةُ الزُّهْرِيَّهْ مُرْضِعَتُهُ حَلِيْمَةُ السَّعْدِيَّهْ

يعني أنّ والد النّبيّ ﷺ هو عبد الله بن عبد المطّلب[١] بن هاشم[٢] بن عبد مناف[٣] بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، هذا القدر متّفق عليه بين النسّاب، وعدنان يرجع نسبه إلى نبيّ الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصّلاة والسّلام.

توفّي عبد اللّه والد النّبيّ ﷺ والنّبيّ حمل في بطن أمّه، وذلك لما خرج إلى الشّام إلى غزّة في قافلة لقريش يحملون تجارات وفي رجوعهم مرّوا بيثرب وعبد اللّه بن عبد المطّلب يومئذ مريض فقال أنا أتخلّف عند أخوالي بني عدي بن النّجّار فأقام عندهم مريضًا شهرًا ومضى أصحابه وما لبث أن توفّي ودفن في دار النّابغة وعمره خمس وعشرون سنة.

وأمّه ﷺ هي ءامنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. ولمّا بلغ النّبيّ ﷺ ستّ سنين خرجت به أمّه إلى يثرب تزور أخواله من بني النّجّار، فأقامت به عندهم شهرًا ثمّ رجعت، فمرضت في طريق الرّجوع إلى مكة، ثمّ ماتت ودفنت بالأبواء وهو موضع معروف بين مكّة والمدينة ولكنّه إلى المدينة أقرب.

---

(١) واسمه شيبة الحمد.

(٢) واسمه عمرو.

(٣) واسمه المغيرة.

ولدته أمّه ﷺ لتسعة أشهر من حمله، وظهرت عند مولده ءايات: منها خروج النّور، قالت ءامنة بنت وهب: «لقد علقت به تعنى رسول الله ﷺ فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فصل منّي خرج منه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب» اهـ وبهذا النّور رأت رضي الله عنها قصور بصرى في أرض الشّام، وهذا الحديث ثابت رواه الحافظ ابن حجر في الأماليّ وحسّنه، ورؤية ءامنة لقصور بصرى يعدّ كرامة لها لأنّ هذا خارق للعادة، وهذا مع ما رأت أيضًا من العجائب وخرق العادات يوم مولده ﷺ يؤكد إيمانها وحسن حالها.

والقول الصّواب الراجح عند العلماء أن والدي الرّسول ﷺ ناجيان. ولا نقول إنّهما ماتا كافرين إذ لا مانع من أن يكونا ألهما الإيمان باللّه فعاشا مؤمنين لا يعبدان الوثن.

قال الإمام أبو حنيفة رضي اللّه عنه «والدا الرّسول ما ماتا كافرين» لكن بعض النّسّاخ حرّفوا فكتبوا ماتا كافرين وهذا غلط شنيع.

وأمّا حديث «إنّ أبي وأباك في النّار» فهو حديث معلول من جملة الأحاديث التي انتقدها بعض المحدثين على الإمام مسلم.

وقد صنف الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) رسالة في «نجاة والدَي النبي ﷺ» ذكر فيها في الجزء الثاني تحت عنوان «التعظيم والمنَّة في أن أبوَي النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة»[1]: فصلٌ: ظهر لي في حديث: (إن أبي وأباك في النار)، علتان؛ إحداهما: من حيث الإسناد... إلى أن قال فبَانَ بهذا: أن الحديث المتنازع فيه لا بَدْعَ أن يكون منكرًا، وقد وُصِفَتْ أحاديث كثيرة في مسلم بأنها منكرة اهـ

وأمّا حديث «إنّ الرّسول مكث عند قبر أمّه فأطال وبكى فقيل له: يا رسول اللّه رأيناك أطلت عند قبر أمّك وبكيت فقال: «إنّي استأذنت ربّي في

(١) التعظيم والمنَّة في أن أبوَي النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ص٩٨ – 99).

زيارتها فأذن لي وطلبت أن أستغفر لها فمنعني» فهذا الحديث أيضا في مسلم وهذا الحديث مؤوّل بأن يقال إنّما منعه من أن يستغفر لها حتّى لا يلتبس الأمر على النّاس الّذين مات ءاباؤهم وأمّهاتهم على عبادة الوثن فيستغفروا لآبائهم وأمّهاتهم المشركين لا لأنّ أمّ الرّسول كانت كافرة، وهكذا يردّ على الّذين أخذوا بظاهر الحديث فقالوا إنّ والدة الرّسول مشركة لذلك ما أذن له بأن يستغفر لها.

ثمّ على فرض أنّهما لم يكونا مسلمين فهما من أهل الفترة وأهل الفترة الّذين ما بلغتهم دعوة الأنبياء السّابقين لا يعذّبون في الآخرة قال اللّه تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]، وعلى هذا جمهور العلماء الأشاعرة وغيرهم.

وقوله (مُرْضِعَتُهْ حَلِيْمَةُ السَّعْدِيَّهْ) هي السّيّدة حليمة السّعديّة من بني سعد بن بكر، وظهر لها من بركاته وخيراته ﷺ الشّيء الكثير الكثير. ومن أوّل من أرضعه ثويبة جارية أبي لهب وأعتقها أبو لهب فرحا بولادته ﷺ.

مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ الأَمِيْنَهْ وَفَاتُهُ بِطَيْبَةَ المَدِيْنَهْ
أَتَمَّ قَبْلَ الوَحْيِ أَرْبَعِيْنَا وَعُمْرُهُ قَدْ جَاوَزَ السِّتِّيْنَا

من الواجب معرفته أنّه ﷺ ولد بمكّة وبعث أي نزل عليه الوحي بالنّبوّة وهو بها أي مستوطن بها، وكان عمره ﷺ أوّل ما نزل عليه الوحي أربعين سنة. ثمّ مكث في مكّة يدعو النّاس إلى دين الإسلام ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة المنوّرة بأمر اللّه تعالى لا هربًا وخوفًا من الكفّار، فأقام في المدينة عشر سنين ومات عن سنّ ثلاث وستّين.

وقوله (بِمَكَّةَ الأَمِيْنَهْ) أي مكان ولادته هو مكّة، وقد ولد ﷺ في سوق

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

اللّيل، داخل الزّقاق المعروف بزقاق المدكك، في دار كانت بيد عقيل بن أبي طالب، وهو معروف إلى يومنا هذا، جعل اليوم مكتبة.

والأمينة الآمنة، واللّه أقسم بمكّة في القرءان قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾[1]، والخليل إبراهيم دعا لمكّة بالأمن قال اللّه تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[2].

ودأب المسلمون على الاحتفال بيوم مولده الثاني عشر من ربيع الأوّل إظهارًا للفرح بوجود رسول اللّه ﷺ وبروزه إلى الدّنيا وإظهارًا لشكر اللّه تبارك وتعالى على هذه النّعمة العظمى.

وأوّل من أظهر وأشاع الاحتفال بالمولد النّبويّ الشّريف في شهر ربيع الأوّل هو عالم فاضل ملك مجاهد تقي يقال له الملك مظفّر الدّين أبو سعيد كوكبري بن عليّ بن بكتكين، ملك إربل، ووافقه علماء الحديث على فعله هذا، فكان هذا الفعل من البدع الحسنة، وهو داخل تحت قواعد الدّين موافق لأحكام الشّريعة.

اللّه تبارك وتعالى ألهم الملك المظفر في شهر ربيع الأوّل أن يعمل مأدبة عظيمة ذبح فيها ءالافًا من الأغنام وأحضر من الحلويّات وجمع العلماء والفقهاء والزّهّاد الصّوفيّين وجمع الوجهاء فى ناحيته وعمل هذا المولد فاستحسنه علماء الحديث وألف الحافظ المحدّث ابن دحية كتابًا في المولد سمّاه التّنوير فى مولد البشير النّذير ﷺ.

وروى الإمام البخاريّ في صحيحه عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما قال لمّا قدم النّبيّ ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الّذي أظفر اللّه فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ونحن نصومه تعظيمًا فقال رسول اللّه ﷺ نحن أولى بموسى منكم ثمّ أمر بصومه اهـ

(١) سورة التين، الآية ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

فهذا الحديث أيضا أصل لإحداث الطّاعة شكرًا للّه تعالى على نعمة تقدّمت وتكرار ذلك في مثل وقت تلك النّعمة من كلّ عام كما يفعل المسلمون في ذكرى المولد وبهذا صرّح الحافظ ابن حجر رحمه اللّه تعالى.

ويستدلّ لمشروعيّة الاحتفال بالمولد كلّ سنة بما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن صوم يوم الاثنين قال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل على فيه اهـ فقوله ﷺ ذاك يوم ولدت فيه صريح في إحداث الطّاعة في ذلك اليوم وتكرارها لكونه ميلاده ﷺ وبهذا صرّح الحافظ السّيوطيّ رحمه اللّه تعالى.

وقوله (وَفَاتُهُ بِطَيْبَةَ المَدِيْنَهْ) أي توفّي ﷺ في المدينة المنوّرة، ومن أسمائها طيبة، وقبض ﷺ في حجرة السّيّدة عائشة رضي اللّه عنها الملاصقة لمسجده الشّريف ودفن فيها. وكان عمره وقت وفاته ثلاث سنين بعد السّتّين.

فصل في أولاد النّبيّ ﷺ

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَسَبْعَةٌ أَوْلَادُهُ فَمِنْهُمُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الذُّكُورِ تُفْهَمُ

يعني أنّ أولاد النّبيّ ﷺ سبعة، ثلاثة من الذّكور وأربعة من الإناث، وكلّهم من زوجته الأولى خديجة رضي اللّه عنها باستثناء إبراهيم فإنّه من مارية القبطيّة. وقوله (تُفْهَمُ) أي تتّضح أسماؤهم من الأخبار والآثار الثّابتة على ترتيب ولادتهم وهم زينب ثمّ القاسم ثمّ أمّ كلثوم ثمّ فاطمة ثمّ رقيّة ثمّ عبد اللّه ثمّ إبراهيم.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَاسِمْ وَعَبْدُ اللهِ وَهُوَ الطَّيِبُ وَطَاهِرٌ بِذَيْنِ ذَا يُلَقَّبُ

القاسم هو أوّل أولاده ﷺ الذّكور من خديجة، وهو أكبر أبنائه وبه كان ﷺ يكنى. ولد بمكّة قبل البعثة ومات صغيرًا عمره سبعة عشر شهرًا وقيل أكثر.

وثاني أولاده ﷺ من الذّكور عبد اللّه، ويلقّب الطّيّب الطّاهر أيضًا، لأنّه ولد في الإسلام على الصّحيح ومات بمكّة.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَتَاهُ إِبْرَاهِيْمُ مِنْ سُرِّيَّهْ فَأُمُّهُ مَارِيَّةُ القِبْطِيَّهْ

وثالث أولاده ﷺ من الذكور (إِبْرَاهِيْمُ)، ولد بالمدينة سنة ثمان للهجرة،

وعاش بها سنة ونصف سنة على الأشهر. وأمّه مارية بنت شمعون القبطيّة، أهداها للنّبيّ ﷺ ملك مصر المقوقس، فأسلمت واتّخذها النّبيّ ﷺ سريّة ولم يتزوّجها.

ولمّا كان ولد رسول اللّه إبراهيم يحتضر دخل النّبيّ عليه، فجعلت عينا رسول اللّه ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرّحمن بن عوف: وأنت يا رسول اللّه؟! فقال: «**يا ابن عوف إنّها رحمة**» ثمّ أتبعها بأخرى، فقال: «**إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا، وإنّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**» رواه البخاريّ ومسلم.

وفي هذا الحديث تعليم لنا بالتّحلّي بالصّبر عند المصائب، وترك الاعتراض على اللّه تعالى مهما نزل بنا من البلاء والمصائب، لأنّ اللّه تعالى هو خالقنا، وهو مالكنا على الحقيقة، فهو يفعل بنا ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَغَيْـرُ إِبْـرَاهِيْمَ مِـنْ خَدِيجَـهْ هُـمْ سِـتَّـةُ فَـخُـذْ بِـهِـمْ وَلِيْجَهْ

يعني أنّ جميع أولاده ﷺ الذّكور والإناث من السّيّدة خديجة رضي اللّه عنها باستثناء إبراهيم فإنّه من مارية. ومعنى قول النّاظم (فَـخُـذْ بِـهِـمْ وَلِيْجَهْ) أي اتّخذ محبّة أولاد النّبيّ ﷺ ظاهرًا وباطنًا بطانة لنفسك فمحبّتهم واجبة لما لهم من القرابة منه ﷺ.

ثمّ أخذ النّاظم يعدّد بقيّة أولاد النّبيّ ﷺ وهنّ الإناث فقال رحمه اللّه:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

وَأَرْبَعٌ مِنَ الإِنَاثِ تُذْكَرُ رِضْوَانُ رَبِّيْ لِلْجَمِيْعِ يُذْكَرُ
فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بَعْلُهَا عَلِيّ وَابْنَاهُمَا السِّبْطَانِ فَضْلُهُمْ جَلِيّ
فَزَيْنَبٌ وَبَعْدَهَا رُقَيَّهْ وَأُمُّ كُلْثُومٍ زَكَتْ رَضِيَّهْ

يعني أنّ أوّل بنات النّبيّ ﷺ من حيث الفضل هي (فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ) رضي اللّه عنها، زوج عليّ بن أبي طالب، وأمّ السّبطين الحسن والحسين أصحاب الفضل الجليّ الظّاهر المعروف عند كلّ المسلمين. قال النّبيّ ﷺ: «**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين ـ أو ـ سيّدة نساء هذه الأمّة**».

وأمّا (زَيْنَب) رضي اللّه عنها فهي أكبر بناته ﷺ، كانت زوجة أبي العاص ابن الرّبيع بن عبد العزّى، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، ولدت منه عليّا وأمامة. توفّيت زينب رضي اللّه عنها سنة ثمان من الهجرة.

ومن بناته ﷺ (رُقَيَّةُ) تزوّجها عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه وهاجر بها إلى الحبشة وولدت له ثمّ توفّيت والنّبيّ ﷺ في بدر ودفنت في المدينة.

و(أُمُ كُلْثُومٍ) رضي اللّه عنها تزوّجها عثمان بن عفّان بعد وفاة أختها رقيّة، ولهذا لقّب عثمان بذي النّورين إذ لم يجمع أحد قبله بنتي نبيّ. وقوله (زَكَتْ رَضِيَّهْ) أي عاشت مرضيّة وماتت كذلك رضوان اللّه عليها.

وليعلم أنّ كلّ أسماء أولاد النّبيّ ذكورًا وإناثًا وكذا كل ما سمّى به النّبيّ أحدًا من النّاس له معنى حسن لأنّه تسمية النّبيّ ﷺ.

فصل في أمّهات المؤمنين
رضوان الله عليهنّ أجمعين

عَـنْ تِـسْـعِ نِسْوَةٍ وَفَاةُ الـمُصْطَفَى خُـيِّــرْنَ فَاخْـتَرْنَ النَـبِيَّ المُقْتَفَـى

يعني أنّ النبي ﷺ توفي عن تسع زوجات، وقد تزوج في حياته أكثر من ذلك. وخيّر النبيّ ﷺ زوجاته بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا﴾[1] بين اختيار الدّنيا وزينتها، وبين اختيار الآخرة وثوابها والبقاء معه، فاخترن جميعهنّ البقاء معه ﷺ.

وعددّ النبيّ ﷺ الأزواج لمصلحة شرعيّة ومنفعة كبيرة رآها ﷺ منها:

نشر أحكام الشريعة والتعاليم النّبويّة بين النساء، إذ إنّ أحكام الشرع كالحيض والنفاس وغيرها مما هو خاص بالنساء يسهل انتشاره بينهّن من بعضهنّ لبعض، بخلاف ما لو كان انتشاره حصرًا عن طريق الرجال فإنّ بعضهن قد يستحي أن يسأل ويستفصل.

• وأنّ الزوجة ألصق الناس بزوجها، وأعلمهم بحاله، وأجرؤهم على سؤاله، وخاصة فيما يستحيا عادة من ذكره، فكان من الحكمة البالغة أن تكثر زوجات النبي ﷺ لينقلن الخاصّ والعامّ من أقواله وأحواله وأفعاله الشريفة، ويسألنه عما لا يجرؤ غيرهنّ على أن يسأله عنه، ثم يبلّغن ذلك للأمة، وقد حصل ذلك.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٧ – ٢٨.

ومنها جمع شتات القبائل بالمصاهرة، وهذا ممّا جعل القلوب تلتفّ حوله وتنصّره، إذ قد تزوّج النّبيّ ﷺ من قريش ومن غيرها.

ولم يكن رسول اللّه ﷺ متعلّق القلب بالنّساء كما يدلّ على ذلك صنيعه ﷺ إذ أنّ أوّل امرأة تزوّجها كانت السّيّدة خديجة رضي اللّه عنها، وكانت قد تزوّجت قبله ولها أولاد من غيره، وكان سنّها أربعين سنة وهو ﷺ كان عمُرُ خمسًا وعشرين.

ولم يعدّد النّبيّ ﷺ الزّوجات إلّا بعد موت خديجة رضي الله عنها، وكان سنّه ﷺ قريب الخمسين سنة. ولم يتزوّج ﷺ بكرًا قطّ غير عائشة رضي اللّه عنها، وكانت هي أجمل نسائه وأصغرهنّ وأحبّهنّ إليه، ومع ذلك كان يخرج في ليلتها إلى البقيع يستغفر لأهلها كما روى مسلم عن السّيّدة عائشة أنّها قالت: «ما كانت تمرّ ليلتي على رسول اللّه عليه السّلام إلّا خرج إلى البقيع -أي جبّانة المدينة- يدعو لأهل الجبّانة».

هذا مع ما أوتيه ﷺ من الجمال والقوّة الجسديّة ومع ذلك كان زاهدًا في الدنيا معرضًا عنها، مقبلًا على الآخرة مهتمّا لها، وشتّان بين من كان هذا حاله وحال المتعلّق القلب بالنّساء المتتبّع لشهوات نفسه، وحاشا أن يكون رسول اللّه ﷺ كذلك.

وأمّا حديث «**حبّب إليّ من دنياكم الطّيب والنّساء وجعلت قرّة عيني في الصّلاة**» الّذي رواه النّسائيّ فالمراد به الميل الطّبيعيّ من غير تتبّع، أي إنّ اللّه تعالى جعل فيه حبًّا أي ميلًا طبيعيًّا إلى الطّيب والنّساء، وليس حبًّا تعلّقيًا، وإنّما الحبّ التّعلّقيّ بقلبه والرّاحة القلبيّة واللّذّة للصّلاة ولذا كان ينادي ﷺ بلالا المؤذّن ويقول يا بلال، أقم الصّلاة، أرحنا بها.

عَـائِشَـةٌ وَحَـفْـصَةٌ وَسَـوْدهْ صَـفِـيَّـةٌ مَـيْـمُـوْنَةٌ وَرَمْلَـهْ
هِـنْـدٌ وَزَيْـنَـبٌ كَـذَا جُوَيْرِيَهْ لِـلـمُـؤْمِنِيْنَ أُمَّـهَاتٌ مُرْضِيَهْ

توفي رسول الله ﷺ عن تسع نسوة وهن:

١- **(عَـائِشَـة)** رضي الله عنها، هي بنت أبي بكر الصّديق عبد الله ابن أبي قحافة. وأمّها أمّ رومان بنت عامر بن عويمر. توّفيّ النّبيّ ﷺ عنها وعمرها ثمانية عشر سنة.

٢- **(حَـفْـصَة)** رضي الله عنها، هي بنت عمر بن الخطّاب. وأمّها زينب بنت مظعون بنت حبيب. تزوّجها النّبيّ ﷺ بعد ثلاث سنين من الهجرة. وتوفّيت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية ودفنت في البقيع.

٣- **(سَوْدَة)** رضي الله عنها، هي بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، وأمّها الشّموس بنت قيس بن زيد. تزوّجها النّبيّ ﷺ بعد الهجرة، وتوفّيت رضي للّه عنها في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين بالمدينة.

٤- **(صَفِيَة)** رضي الله عنها، هي بنت حييّ بن أخطب من نسل هارون عليه الصّلاة والسّلام. سباها النّبيّ ﷺ في خيبر وأعتقها ثمّ تزوّجها. توفّيت رضى اللّه عنها سنة اثنتين وخمسين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

٥- **(مَيْمُونَة)** رضي الله عنها، هي بنت الحارث بن حزن، وأمّها هند بنت عوف بن زهير. كان اسمها برّة فغيّر النّبيّ ﷺ اسمها إلى ميمونة. تزوّجها سنة سبع للهجرة. وتوفّيت سنة إحدى وستّين للهجرة.

٦- **(رَمْلَة)** رضي الله عنها، هي بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب ابن أميّة، وأمّها صفيّة بنت العاص بن أميّة، وتسمّى أمّ حبيبة. تزوّجها النّبيّ ﷺ سنة سبع للهجرة وكانت في أرض الحبشة فأصدقها النّجاشيّ عن النّبيّ

ﷺ مهرها أربعمائة دينار. توفّيت سنة أربع وأربعين للهجرة.

٧- **(هِنْد)** رضي الله عنها، هي أمّ سلمة بنت أبي أميّة سهل ابن المغيرة، وأمّها عاتكة بنت عامر، كانت تحت أبي سلمة عبد اللّه ابن عبد الأسد فتوفّي عنها وتزوّجها النّبيّ ﷺ سنة أربع للهجرة. توفّيت سنة تسع وخمسين للهجرة.

٨- **(زَيْنَب)** رضي الله عنها، هي بنت جحش بن رئاب بن يعمر، وأمّها أميمة بنت عبد المطّلب بن هاشم عمّة النّبيّ ﷺ، كانت تحت زيد بن حارثة.

وطعن بعض الكفّار في النّبيّ ﷺ بقولهم: «إنّ محمّدًا احتال على زيد بن حارثة لمّا علقت نفسه بزينب حتّى توّصل لزواجها» ومثل هذا لا يليق بآحاد المؤمنين فكيف برسول اللّه ﷺ.

والنّبيّ ﷺ لم تكن معرفته بزينب جديدة لأنّها بنت عمّته أميمة، وهو الّذي كان زوجها من زيد، ثمّ اللّه أعلم نبيّه أنّها تكون من أزواجه، وكان لا يزال بين زيد وزينب ما يكون بين الأزواج من الخصومات، وكان النّبيّ يأمره أن يمسك عليه زوجه وأن يتّقي اللّه، وكان النّبيّ ﷺ قد تبنّى زيدًا قبل التّحريم، وكان يخشى قول النّاس تزوّج امرأة ابنه، ولكن أراد اللّه إبطال ما كان عليه النّاس من أحكام التّبنّي بأمر واضح وهو تزوّجه امرأة الّذي يدعى ابنا له، وهو معنى قوله تعالى ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[1]. ولمّا نزلت الآية أظهر ذلك النّبيّ ﷺ وتلاه قرءانًا على النّاس.

وأمّا حديث زينب بنت جحش زوج النّبي ﷺ أنّها كانت تقول لنساء الرّسول ﷺ «زوّجكنّ أهاليكنّ وزوّجني الله من فوق سبع سماوات» فمعناه

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

أنّ تزوّج النّبيّ ﷺ بها مسجّل في اللّوح المحفوظ وهذه كتابة خاصة بزينب ليست الكتابة العامّة، الكتابة العامّة لكلّ شخص فكلّ زواج يحصل إلى نهاية الدّنيا مسجل، واللّوح فوق السّموات السّبع.

٩- **(جُوَيْرِيَة)** رضي الله عنها، هي بنت الحارث. تزوّجها النّبيّ ﷺ بعد أن أعتقها وأسلمت بعد غزوة بني المصطلق. توفّيت وهي ابنة خمس وستّين سنة في شهر ربيع الأوّل من سنة سبع وخمسين في خلافة معاوية.

وزوجات النّبيّ ﷺ أمّهات المؤمنين كما أخبر ربّنا في القران الكريم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ أي كالأمّهات في توقيرهنّ واحترامهنّ وإجلالهنّ وفي حرمة نكاحهنّ بعد رسول اللّه ﷺ. وقوله **(مُرْضِيَه)** أي كلّهنّ طائعات للّه ولرسوله الكريم فهنّ مرضيات عند اللّه ورسوله.

وليس في زوجات النّبيّ ﷺ ولا في زوجات أحد من الأنبياء امرأة غير شريفة، فلم يكن لنبيّ من الأنبياء زوجة زانية، وأمّا قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[1]، معناه خيانة الدّين فلم تؤمّنا بهما بل كانتا كافرتين.

(١) سورة التحريم، الآية ١٠.

فصل في أعمام وعمّات النّبيّ ﷺ

حَـمْـزَةُ عَـمُّـهُ وَعَـبَّـاسٌ كَذَا عَـمَّـتُـهُ صَـفِيَّةٌ ذَاتُ احْتِـذَا

يعني أنّ الّذين اتّفق على إسلامهم من بين أعمام النّبيّ ﷺ وعمّاته هم حمزة والعبّاس وصفيّة رضي اللّه عنهم.

أمّا حمزة فهو ابن عبد المطّلب، أسد اللّه الشّهيد، وأمّه هالة بنت بن عبد مناف، وهو أخو النّبيّ ﷺ بالرّضاعة. توفّي رضي اللّه عنه في غزوة أحد وقبره إلى اليوم معروف يزار وترجى بركته.

وأمّا العبّاس فهو جدّ الخلفاء العبّاسيّين وأمّه نتيلة بنت جناب. أسلم وحسن إسلامه وشقّ ذلك على الكفّار وعلموا أنّ إسلامه كان عزّة ومنعة لرسول اللّه ﷺ. توفّي رضي اللّه عنه وأرضاه بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.

وعمّة النّبيّ صفيّة أمّها هالة بنت وهيب بن عبد مناف. وكانت صفيّة في الجاهليّة تحت الحارث بن حرب بن أميّة ثمّ هلك فتزوّجها العوّام بن خويلد أخو خديجة أمّ المؤمنين رضي اللّه عنها فولدت له الزّبير والسّائب وعبد الكعبة. توفّيت رضي اللّه عنها بالمدينة في خلافة عمر رضي اللّه عنه سنة عشرين للهجرة ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع.

وأمّا بقيّة أعمامه فلم يدرك الإسلام منهم إلّا أبو طالب وأبو لهب ولم يسلّما. ولم يثبت لأحد من العمّات غير صفيّة أنّها أسلمت فهي (ذَاتُ احْتِذَا) أي اتّباع للنّبيّ ﷺ.

وممّا ينبغي التّنبّه له أن مجرّد القرابة وحدها لا يكفي ما لم يوافق عمل الشّخص ما أمر به الشّرع، ولذلك النّبيّ ﷺ قال لابنته فاطمة أوّل ما نزل عليه

القرءان: «**يا فاطمة بنت محمّد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من اللّه شيئا**» رواه البخاريّ، ومعناه لا أستطيع أن أنقذك من النّار إذا لم تؤمني، في الدّنيا أستطيع أن أنفعك بمالي، أمّا في الآخرة لا أستطيع أن أنفعك إن لم تدخلي في دعوة الإسلام.

وفي حديث مسلم: «**ومن بطّأ به عمله**» أي أخّره عن درجة الأتقياء والصّالحين «**لم يسرع به نسبه**» إليها، لأنّ الإسراع إلى السّعادة الأخرويّة إنّما هو بالأعمال فإنّ اللّه خلق الخلق ليأمرهم بطاعته فكانت الطّاعة هي المعتبرة ولأنّ الأقرب إلى اللّه تعالى هو الأتقى كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] فليس نسيب غير عامل بمكافئ لعامل غير نسيب.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

فصل في بعض معجزات النّبيّ ﷺ

وَقَبْـلَ هِـجْـرَةِ الـنَّبِيِّ الإِسْرَا مِـنْ مَـكَّـةٍ لَيْلاً لِقُدْسٍ يُدْرَى

أعطي نبيّنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام من المعجزات أكثر من غيره، ومن معجزاته معجزة القرءان الباقية إلى يوم القيامة، ومنها معجزة الإسراء والمعراج.

والإسراء حصل للنّبيّ ﷺ قبل هجرته من مكّة إلى المدينة، والإسراء هو انتقال النّبيّ ﷺ بجسده من مكّة ليلا لبيت المقدس أي إلى المسجد الأقصى. وقوله (يُدرَى) أي يعلم قطعًا من صريح الآية: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1].

والإسراء ثبت بنصّ القرءان والحديث الصّحيح فيجب الإيمان بأنّه ﷺ أسرى الله به ليلًا من مكة إلى المسجد الأقصى. وأجمع أهل الحقّ من السّلف والخلف ومحدّثين ومتكلّمين ومفسّرين وعلماء وفقهاء على أنّ الإسراء كان بالجسد والرّوح وفي اليقظة وهذا هو الحقّ، وهو قول ابن عبّاس وجابر وأنس وعمر وحذيفة وغيرهم، وقال العلماء إنّ من أنكر الإسراء فقد كذّب القرءان ومن كذّب القرءان فقد كفر.

وقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ السّبح في اللّغة التّباعد، ومعنى سبّح الله تعالى أي بعّده ونزّهه عمّا لا يليق به من شبه المخلوقات وصفاتهم كالحجم اللطيف والحجم الكثيف وصفاتهما كالألوان والحركات والسّكنات والمقادير كالصّغر والكبر والتّحيز في الجهة والمكان لأن كلّ ذلك نزّه الله نفسه عنه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] فلو كان له حجم كبير أو صغير

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

لكان له أمثال كثيرة.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ إِسْرَاءٍ عُرُوْجٌ لِلسَّمَا حَتَى رَأَى النَّبِيُّ رَبًّا كَلَّمَا

بعد الإسراء في ذات الليلة حصل المعراج وهو الصعود للسماء، ولم يرد في القرءان بنصّ صريح لا يحتمل التأويل إنّما ورد ما يدلّ عليه لكنه ليس نصّا صريحا كقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾[1].

وليس المقصود بالمعراج وصول الرسول ﷺ إلى مكان ينتهي وجود الله تعالى إليه لأن الله منزّه عن المكان، إنّما القصد من المعراج هو تشريف الرّسول ﷺ بإطلاعه على عجائب في العالم العلويّ وتعظيم مكانته ورؤيته للذّات المقدّس بفؤاده من غير أن يكون الذّات في مكان وإنما المكان للرسول.

وأمّا قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[2] فالمقصود بهذه الآية جبريل عليه السّلام، معناه أنّ جبريل عليه السّلام اقترب من سيدنا محمد فتدلّى إليه ودنا منه فرحا به حتى كان ما بينهما من المسافة بمقدار ذراعين بل أقرب.

وليس الأمر كما يفتري بعض النّاس أنّ اللّه تعالى دنا بذاته من محمّد فكان بين محمّد وبين اللّه كما بين الحاجب والحاجب أو قدر ذراعين لأنّ إثبات المسافة للّه تعالى إثبات للمكان وهو من صفات الخلق، أمّا الخالق فهو موجود بلا كيف ولا مكان، لا يكون بينه وبين خلقه مسافة فالعرش الّذي هو

(١) سورة النجم، الآية ١٣ – ١٥.

(٢) سورة النجم، الآية ٨ –٩.

أعلى المخلوقات والفرش الّذي هو منتهى المخلوقات في الجهة السّفلى على حدّ سواء بالنّسبة إلى ذات اللّه.

وقوله **(حَتَى رَأَى النَّبِيُّ رَبًّا كَلَّمَا)** أي أنّ الله أزال عن قلب النّبيّ ﷺ الحجاب المعنويّ فعندها رأى النّبيّ ﷺ الله تعالى بلا كيف ولا مكان ولا جهة.

روى الطّبرانيّ في المعجم الأوسط بإسناد قويّ كما قال الحافظ ابن حجر عن ابن عبّاس رضي الله عنهما «رأى محمّد ربّه مرّتين». وروى ابن خزيمة بإسناد قويّ: «رأى محمّد ربّه».

والمراد أنّه رءاه بقلبه[1] بدليل حديث مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عبّاس في قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[2]، قال «رأى ربّه بفؤاده مرّتين» أي ولم يره بعينه لأنّ الله لا يرى في الدّنيا بالعين ولو كان يراه أحد بالعين لكان رءاه سيدنا محمد ﷺ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**إنكم لن تروا ربّكم حتى تموتوا**» رواه مسلم، كما يفهم ذلك أيضا من قوله تعالى لسيدنا موسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[3].

---

(١) قال الغزاليّ في إحياء علوم الدّين «الصّحيح أنّ النّبيّ لم ير ربّه ليلة المعراج»، ومراده أنه لم يره بعينه إذ لم يثبت أنّ النبيّ ﷺ قال رأيته بعيني ولا أنّ أحدا من الصّحابة قال رءاه بعيني رأسه. وقال الإمام مالك رضي الله عنه: «لا يرى الباقي بالعين الفانية وإنّما يرى بالعين الباقية في الآخرة» أي بعيون أهل الجنة التي لا يلحقها الفناء لأنّهم لا يموتون أبد الآبدين. وأمّا قول بعض أهل السّنة إنّه ﷺ رأى ربّه ليلة المعراج بعيني رأسه فهذا قول ضعيف ومن قاله لا يبدّع ولا يفسّق لأنّه قال به جمع من السّلف الصّالحين، فمن قال بذلك يقال له: هذا القول مرجوح والقول الرّاجح أنّه رءاه بفؤاده أي بقلبه لا بعينيه كما ثبت ذلك عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه قال: «رءاه بقلبه ولم يره بعينه».

(٢) سورة النجم، الآية ١١ – ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الأية ١٤٣.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ وَانْحِصَارٍ....

يعني أنّ رؤية النبيّ ﷺ لربّه ليلة المعراج حصلت من غير كيف أي من دون كيفية للمرئيّ وهو الله، لأنّ الله تعالى لا يوصف بالكيف والهيئة والصورة. وقوله (وَانْحِصَارٍ) أي بدون حصر للمرئي وهو الله تعالى. فالمؤمنون يرون الله وهم في الجنة، وأمّا الله تعالى فلا ينحصر في جهة ولا مكان.

والإيمان بالرؤية لله تعالى بالعين في الآخرة بأنّها حقّ وهذا خاصّ بالمؤمنين[1]، يرونه وهم في الجنّة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة كما نصّ على ذلك الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه[2] أي أنّه تعالى لا يكون في جهة ولا مكان[3].

المؤمنون يرون الله وهم في الجنّة رؤية لا يكون عليهم فيها اشتباه، لا يشكّون هل الذي رأوه هو الله أو غيره، كما لا يشكّ مبصر القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب أنّ الذي رءاه هو القمر وفي ذلك قال الرّسول ﷺ «**إنّكم سترون ربّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامّون في رؤيته**» رواه مسلم، أي لا تتزاحمون في رؤيته وفي رواية «لا تضامون» أي لا يلحقكم

(١) لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ وقوله هذا خاص بالمؤمنين، أما الكافرون فلا يرون الله لقوله تعالى «﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾. الإمام الشافعي قال إذا حجب اعداءه بالسخط فأولياءه يرونه بالرضى يعني إذا أخبر الله أن الكفار لأنهم مسخطون عند الله لا يرون ربهم فإذًا الأولياء المرضيون يرون ربهم.

(٢) قال في الفقه الأكبر والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة اهـ

(٣) لأنّه ليس من شرط الرؤية المقابلة ووجود مسافة بين الرائي والمرئي كما أنّنا نؤمن أنّ الله تعالى يرانا من غير أن تكون مسافة بيننا وبين الله ومن غير أن يكون الله تعالى في مكان.

ضرر[1].

وفي ليلة المعراج افترض الله على أمة محمد ﷺ خمسين صلاة ثم خفّفها ربنا فصارت خمسا بأجر خمسين إذ الحسنة بعشر أمثالها، قال الناظم:

.....وَافْتَـرَضْ عَلَيْهِ خَمْسًـا بَعْدَ خَمْسِيْنَ فَرَضْ
وَبَـلَّـغَ الأُمَـةَ بِـالإِسْـراءِ وَفَـرْضِ خَـمْـسَةٍ بِـلا امْتِـرَاءِ
قَـدْ فَـازَ صِـدِّيْقٌ بِتَـصْدِيْقٍ لَـهُ وَبِـالـعُرُوْجِ الصِّـدْقُ وَافَى أَهْلَـهُ

أخبر النبيّ ﷺ أصحابه بعد المعراج بوجوب خمس صلوات في اليوم والليلة وقوله (بِلا امْتِرَاءِ) أي بلا شك أنّها واجبة على المكلفين من المسلمين. وكذلك أخبر النبي ﷺ الناس بما رأى من العجائب في رحلة الإسراء والمعراج ليكون ذلك موعظة لهم وتذكرة، وكان من أوّل من صدّق النبيّ ﷺ في حصول معجزة الإسراء والمعراج أبو بكر رضي الله عنه ففاز بلقب الصّديق.

قوله (وَبِـالـعُرُوْجِ) أي وفي خبر العروج والإسراء (الصِّدْقُ وَافَى) أي وافق (أَهْلَهُ) أي قد صدّق من يستحّق التصديق.

(١) قال النووي في شرح مسلم في باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى عند قوله ﷺ «هل تضارون في القمر ليلة البدر» وفي الرواية الأخرى «هل تضامون» قال ومعنى المشدّد هل تضّارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها ثم قال ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب اه

خاتمة

وَهَـــذِهِ عَقِيْـــدَةٌ مُـخْـــتَصَرَهْ وَلِـلْـعَـــوَامِ سَـهْـــلَةٌ مُيَسَّـــرَهْ
نَـاظِـمُ تِـلْـكَ أَحْـمَدُ الـمَرْزُوْقِيْ مَـنْ يَنْتَمِيْ لِلصَادِقِ المَصْدُوْقِ

قول الناظم (وَهَـذِهِ) إشارة إلى ما تقدّم من الأبيات السابقة التي جمع فيها عقيدة أهل السّنة والجماعة مختصرة موجزة قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، غزيرة الفوائد، سهلة العبارات والسّبك والمضمون، واضحة للعوام من المسلمين، يسهل فهمها وحفظها على الكبير والصغير.

وقوله (نَـاظِـمُ تِـلْـكَ) أي مصنف المنظومة الأرجوزة هو السيد الشريف (أَحْـمَدُ) بن محمد بن السيد رمضان (الـمَرْزُوْقِي) نسبة إلى العارف بالله القطب السّيّد مرزوق الكفافيّ ابن السّيّد موسى بن عبد الله المحض بن الإمام حسن المثنّى بن الإمام الحسن بن الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ابن عمّ رسول الله محمد ﷺ، وابن فاطمة بنت نبينا محمد ﷺ وهو معنى قوله (مَـنْ يَنْتَمِيْ لِلصَادِقِ) في قوله وفعله وحاله و(المَصْدُوْقِ) في ما يأتيه من الوحي الكريم أي فلا يأتيه إلا الصدق.

وَالـحَـمْـدُ للـهِ وَصَـلَّى سَـلَّمَا عَلَـى النَبِيِّ خَيْـرِ مَـنْ قَـدْ عَلَّمَـا
وَالآلِ وَالصَّحْـبِ وَكُلِّ مُرْشِـدِ وَكُـلِّ مَـنْ بِخَيْـرِ هَـدْيٍ يَقْتَـدِي
وَأَسْـأَلُ الـكَـرِيْمَ إِخْـلاصَ العَمَلْ وَنَـفْـعَ كُلِّ مَـنْ بِهَـا قَـدِ اشْـتَغَلْ

بالحمد لله والصلاة على النبيّ وءاله وصحبه ومن تبعهم بخير وهدي وإرشاد، ختم الناظم أرجوزته سائلًا اللَّه التوفيق للإخلاص لأنّ الإخلاص شرط لقبول العمل الصالح، فالعمل الصالح لا يكون مقبولًا إلا مع موافقة

الشّروط والأحكام ومع الإخلاص.

أَبْيَاتُهَا (مَيْزٌ) بِعَدِّ الجُمَّلِ تَارِيْخُهَا (لِيْ حَيُّ غُرٍّ) جُمِّلِ

سَمَّيْتُهَا عَقِيْدَةَ العَوَامِ مِنْ وَاجِبٍ فِي الدِيْنِ بِالتَمَامِ

أبيات هذه المنظومة اللّطيفة السّهلة عددها بحساب الجمّل ما ترمز إليه كلمة (مَيْزٌ) الميم أربعون، والياء عشرة، والزاي سبعة، مجموعها سبعة وخمسون بيتًا.

أما تاريخ تصنيف هذا النّظم فهو ما ترمز له حروف (لِيْ حَيُّ غُرٍّ) اللام ثلاثون، والياء عشرة، والحاء ثمانية، والياء عشرة، والغين ألف، والراء مائتان، مجموعها ألف ومائتان وثمانية وخمسون (١٢٥٨) من الهجرة الشّريفة وهو تاريخ الفراغ من نظم هذه الأرجوزة.

وسمّاها النّاظم رحمه الله (عَقِيْدَةَ العَوَامِ) لاحتوائها على أمور مهّمة من عقيدة المسلمين لا ينبغي للمكلّف من عامة المسلمين وخاصتهم أن يهملها، وبعض ما في هذا النظم معرفته واجبة فرض عين، وبعضها معرفته واجبة فرض كفاية.

والحمد لله أولًا وءاخرًا
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الفهرس

ترجمةُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ الله	٥
الـمُقَدّمَةُ	١٢
فصل في الإيمان بالله تعالى وصفاته	١٩
صفات الله كلها كاملة	٤٢
فصل في ذكر بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام	٤٨
فصل في الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام	٥٦
فصل في الإيمان بالـملائكة عليهم السلام	٨٠
فصل في الإيمان بالكتب السّماويّة	٨٣
فصل في الإيمان بما جاء عن رسول الله ﷺ	٨٧
فصل في الإيمان باليوم الآخر	٨٨
فصل في سيرة النّبي محمّد ﷺ	٩٢
فصل في نسب النبيّ الشّريف ﷺ	٩٣
فصل في أولاد النّبيّ ﷺ	٩٨
فصل في أمّهات المؤمنين رضوان الله عليهنّ أجمعين	١٠١
فصل في أعمام وعمّات النّبيّ ﷺ	١٠٦
فصل في بعض معجزات النّبيّ ﷺ	١٠٨
خاتمة	١١٣